صادر حالا عن الكتب
شريف سالم
رواية
سيدة الكوابيس
دارك

www.darak-egy.com
01027251915 - 01098952125
51 ب شارع النزهة من شارع رمسيس - القاهرة
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

سيدة الكوابيس
اسم المؤلف: شريف سالم
تصميم الغلاف: روان ندا
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2024/33316
الترقيم الدولي: 978-977-9672-22-9
الطبعة الأولى: 2025

لا أعرف أيّهما أكثر رعبًا؛ أن تكون زوج "نيفين"، أم زوجة "أحمد"؟!

لطالما بدأت الحكايات بقصة جوزيف، ذلك الرجل الذي رأى في عيني ذئبٍ شريد يئنُّ من الجوع والعطش في الصحراء روحًا تئنُّ طلبًا للنجاة، مدّ يده بالعون، فهاجمه الجوعُ الكامن في أعماق الوحش، فما كان منه إلا أن ضحّى بذراعه اليسرى لتكون فِدية لنفسه. هربَ من بين أنياب الذئب حاملًا معه نُدبَة عميقة في قلبه، وعندما اطمأن إلى سلامته حفرَ وشمًا على ذراعه اليمنى من الكتف إلى الكَف.

(شكرًا للذئب على ما تركه من جسد والتهم في القلب)

الفصل الأول: ما أكله الذئب

(من عمق الجُرح نتخيّل حجم المِخلَب)

*

فتح أحمد عينيه ببطء وكأنما كان يخرج من كهف مظلم، كانت إضاءة الغرفة تضيء بنصف طاقتها كاشفةً عن غرفة نومه كما يعرفها، حاول تحريك جسده، لكن الأصفاد التي كانت تربط معصميه وقدميه منعته، حاول التنفُّس من فمه لكنه كان مُكمّمًا بكمامة من طبقتين من القماش والجلد بقفل معدني يشعر به ينكز في مؤخرة رأسه، ومقيدًا في قدم السرير بقيود بلاستيكية كالتي تُستخدم في ربط أسلاك الكهرباء، وذراعه موصلة بها سرنجة تتصل بمحلول أعلى الفراش لا يستطيع رؤيته. نظر بجواره فوجد زوجته في نفس الوضع، وجهها شاحب وعيناها مفتوحتان على مصراعيهما. شعر بقشعريرة تجري في جسده وهو ينظر إلى ما تنظر إليه، فجحظت عيناه معها.

هما مقيدان وأمامهما ابنهما مازن الذي سيُتم العامين بعد بضعة أشهر جالس في خوف يرتجف من كثرة البكاء، ويمسك لعبته المفضلة، الدب القماشي بني اللون، ينظر إليه ويلومه على كونه وحيدًا، بينما والداه يلعبان سويًا لعبة لا يفهمها وهما نائمان. يدرك أحمد من أثر الدموع على ملابسه أن ابنه احتضنه لفترة في محاولة لإيقاظه، ولكن محاولات الطفل لم تفلح فقام بضربهما كنوع من اللوم على تلك اللعبة الشريرة التي يلعبانها معه. همهمة زوجته المُكمّمَة جعلت ابنها يقترب منها ويحاول فكّ كمامتها ليسمع صوتها

حتى يطمئن.. دون جدوي. يحاول فهم أي شيء منهما لكن بلا أمل. نظر أحمد إلى الغرفة، هناك من أغلق النوافذ ووضع شريطًا لاصقًا ثقيلًا عليها ليمنع خروج الصوت أو دخول الضوء، القيود مُحكَمة وهو يشعر بوهن شديد، قد يكون من أثر المحلول المحقون في ذراعيه. ينظر في أرجاء الغرفة الخالية من الكثير من الأثاث المتحرّك والدواليب مغلقة أيضًا جيدًا وعليها نفس اللاصق، عقله يحترق، ماذا يفعل الآن؟

لا، لن يفعل شيئًا، سيظل هذا الوضع قائمًا لعدة أيام حتى يموت ابنه من الجوع والعطش وهو يعض أصابع قدم والده في جوع الذي يصرخ في كمامته من القهر والألم، قبل موت ابنه بقليل يجد سائلًا أبيض يخرج من فم زوجته التي لم يتحمّل قلبها كل ما يحدث فتوقّف عن العمل من الرعب والوهن فقتلها المشهد والوهن معًا.

يصرخ ويظل يصرخ دون صوت، يصرخ من قلبه وبعقله وروحه، يهز جسده، والدموع الجافة من أثر الجفاف الذي ضرب جسده تنساب لتحرق عينيه وهو يصرخ بكلمات غير مسموعة، أين الموت الآن؟ لقد حان دوري.

يلمح في تلك اللحظة، وهو يرفع رأسه في محاولة للنظر إلى سقف الغرفة، كاميرا في ركن الغرفة تصوّر كل ما يحدث وكأنها عين الشيطان، يشعر أن الكاميرا تضحك، تضحك بشدة عليه وعلى ضعفه، مشاعر مختلطة من الغضب، ولكنه لا يجد القوة اللازمة ليغضب أو ينفعل حتى، يُرخي رأسه على صدره في استسلام منتظرًا الموت، منتظرًا النهاية، ولكنه يسمع آخر ما كان يريد سماعه،

صوت أحدهم يحاول اقتحام المنزل، كسر باب الشقة، صوت أمل لا يريد أن يسمعه، يدعو الله أن يأخذ روحه قبل أن ينفتح باب غرفة نومه، ولكن الأمل ضيف ثقيل يأتي دائمًا في الموقف غير المناسب.

يُكسر باب الغرفة، لا يستطيع الحراك لكنه يحاول أن يبعد منقذي حياته وكأنهم الشياطين جاءت لتمسك روحه وتسلمها إلى ملاك الموت، كم كان دافئًا ومريحًا الموت في تلك اللحظات! كم كان لصمت الموت موسيقى هادئة أُجبر على تركها وأن يُلقى في ضوضاء الحياة مرة أخرى، ورغم أن أحدهم خلع الكمامة من على وجهه إلا أنه لا يجد كلمات سوى الهمهمة التي كانت لغته آخر أيام حياة أسرته التي لم يستطع إنقاذها أو اللحاق بها، كل ما حمله معه في سيارة الإسعاف هي صور للموت وصورة واحدة للحياة، عدسة كاميرا كان يعرف من يقف في جهتها الأخرى.

***

- اتفضل يا أستاذ كمال

يقف كمال أبو الفضل المحامي ويحمل حقيبته الصغيرة ويسير إلى داخل مكتب الدكتور أكرم جودة بمبنى المستشفى الخاص الكبير الذي يمتلكه بالشراكة مع باقي أسرته، يرحب بكمال بهدوء ودون أي ابتسامة ويدعوه للجلوس، يحترم كمال عميلَه الذي يمر بظروف غير طبيعية ويجلس ويُخرج أوراق القضية ولا ينتظر سؤال الدكتور أكرم عن أي شيء، بل يبدأ في سرد ظروف القضية.

- متابعة لاتصالي بسيادتك، النيابة على اقتناع أن نيفين ابنة حضرتك شريكة في الجريمة، الاتهام تم توجيهه بناء على العثور

على كاميرا مكان الجريمة بها شريحة اتصال مسجّلة باسمها، لقد قدّمنا كل الدلائل التي تفيد بأن نيفين لم تكن موجودة بالقاهرة وقت وقوع الجريمة، ولكن بالنظر لبشاعة الجريمة فالنيابة بالطبع ستكون صارمة جدًا. تم تقديم الأوراق والتقارير الخاصة بعلاج الدكتورة نيفين نفسيًا وأنها تحت الملاحظة منذ فترة، وستحتاج إلى علاج نفسي وتحت تأثير عقاقير دوائية بصورة دائمة.

يصمت لثوانٍ ويأخذ نفسًا عميقًا وهو ينظر إلى الدكتور أكرم الذي يظهر على ملامحه الاهتمام، ولكن دون أي نوع من المشاعر، لا يعلّق ولا يستوقفه أيٌ مما قيل، ولا تتبدل ملامحه في أي لحظة من اللحظات، يستطرد كمال

- تحريات الشرطة قدّمت للنيابة ما يثبت أيضًا أن المتهمة لم تكن في مكان الجريمة، ولكن قدمت أيضًا أن المتهمة الدكتورة نيفين كانت زوجة ثانية للمجني عليه، وأنها اتهمته منذ عدة أشهر أنه أسقط حملها في طفلها وحاول قتلها بنفس هذا السبب، ولكن الاتهام تم سحبه من جانبها بعد ذلك قبل الوصول إلى أي من درجات التقاضي، مما أشار إلى أن هناك دوافع انتقامية لدى المتهمة وأكد على فكرة مشاركتها الجريمة والتخطيط لها أيضًا. بأي حال، النيابة قررت اليوم وضع المتهمة تحت الملاحظة الطبية في مستشفى الصحة النفسية بحلوان.

يقاطعه الدكتور أكرم في هدوء:

- لماذا مستشفى حلوان؟ أعتقد أن أغلب هذه الحالات تذهب مستشفى العباسية.

- نعم العباسية في الأغلب، لكن نظرًا لتكدُّس مستشفى العباسية إلى جانب بعض التجديدات هناك تم تحويلها تحت الحراسة إلى حلوان، عموما في حالة ثبوت أن المريضة فعلًا مصابة بمرض نفسي يتم التجديد لها حتى 60 يومًا، وإذا ثبت أن المتهمة فعلًا في حالة عقلية غير سليمة يتم حجزها في المصحة للعلاج، ما يتبقى أن يخرج تقرير طبي من المستشفى بذلك، بعد فترة يمكننا محاولة تحويلها إلى مستشفى آخر خاص للعلاج.

يكسر الدكتور أكرم الصمت بكلمات ثقيلة:

- إذا كنت تشير إلى أنني سأتدخل لإصدار تقرير طبي يفيد بمرضها فهذا لن يحدث، وهي تعرف عني ذلك، أنا لا أتدخل في مثل هذه الأشياء الشائكة، لديّ سمعة مستشفى لأحميها، وما لا أقبل أن يحدث في المستشفى الذي أملكه لن أقبل أن يحدث في أي مستشفى أخرى.

ثم يقف ويمد يده ليصافح كمال وهو يستطرد:

- شكرا لمجهودك أستاذ كمال، وفرصة سعيدة.

ويجلس مرة أخرى تاركًا كمال يخرج من مكتبه بعد مقابلة سريعة في حيرة شديدة، لم يفهم ما إذا كان ردّ الفعل ناجمًا عن غضب أم قسوة قلب على ابنته الصغرى على حسب معلوماته، قد يتفهم أن الجريمة بشعة والحدث جلل ولكن يبقي الأب هو الأب، وهذا ما لم يرَه كمال في الدكتور أكرم، ليبقى السؤال الأخير في عقله، لماذا هذه القسوة؟

***

تفتح نيفين عيونها على صباح أول يوم لها بالمستشفى التي نقلت لها بالأمس، في غرفة صغيرة بابها مصنوع من الحديد مزوّدة بنافذة صغيرة يتسلل منها ضوء النهار في شحوب منكسر ما بين القضبان وكأنه تحت تأثير مضادات الاكتئاب، تجلس على السرير المعدني الضيق المزوّد ببطانة من السوست تصدر أزيزًا كلما رفّت جفونها، هناك طاولة صغيرة وكرسي، لا يوجد الكثير من الأثاث، وكأن الغرفة مجرد قفص فارغ، بالطبع أفضل من الحجز بقسم الشرطة الذي لم تستطع تحمّله، ولأنها تعرف أن دور المريضة قد يجلب التعاطف وهذا يعني الكثير من المتطفلين والأسئلة التي لن تنتهي، فقد قررت أن دور المجنونة سيضع ستارًا بينها ومساحة كبيرة بين الآخرين، والجنون هو الذي جعلها تفلت من الذهاب في طريق قصير إلى جهنم السجن أو ما هو أبعد على فعلتها. الصعوبة أن دور المجنونة أرهقها كثيرًا خاصة أنها ظلت عدة أيام تقوم بتمثيله حتى تم ترحيلها، توقُّفها عن تناول مضادات الاكتئاب جعلها عصبية ومتوترة داخليًا، ولكنها هادئة المظهر، فاحتاجت لاستهلاك الكثير من الطاقة لإظهار باطنها الخرِب للخارج، المهم أنها نجحت في خطوتها الأولى وهي الانتقال إلى مكان أفضل وأكثر أمانًا وبعيد عن حبل المشنقة، والآن عليها أن تبقى فيه أطول وقت ممكن، وهذا بإثبات انتهاء صلاحية عقلها، سوف تساعدها هيئتها الحالية في الأساس، وبرغم أن طولها 175 سم إلا أن وزنها أقل من 55 كيلو جرامًا مما يجعلها شديدة النحافة، وبالرغم من أنها جميلة الملامح إلا أن مع وجود هالات سوداء فوق أنف مدبّب وشفتين كبيرتين إلى جانب حلاقة

شعرها الأسود الثقيل بالماكينة بنفسها جعل هيئتها الحالية دون أي مستحضرات تجميل تضع قدمًا لتأكيد الجنون في عقل من يراها.

تتذكر ما قاله لها المحامي في الدقائق التي قابلها فيها بقسم الشرطة:

- الجنون هو طريق النجاة.

لم يكن يعرف تاريخها في المرض النفسي، وأنها عاشت مستعدة لهذه اللحظة، حتى عندما دخل الممرض شوقي البطاح حاملًا صينية الإفطار لم ترد عليه تحية الصباح أو نظراته لها، بل ظلت صامتة لا تحرّك خلية في جسدها، بل عينيها فقط تتابعه يضعها على الطاولة ثم عاد إلى خارج الغرفة، لقد شعر أنه أمام حالة حقيقية مريضة، انطباعات وجهه طمأنتها أن الخطة قد تنجح، ولكن الأهم هو اقتناع الدكتور الذي سيعد التقرير بذلك.

علي بُعد صف طويل من غرف مثل غرفتها يقع في نهاية الطرقة خلف مكتب الاستقبال الخاص بالممرضين مكتب كبير خاص بالسادة الأطباء، هناك كان يجلس الطبيب المعني بحالة نيفين جودة، الدكتور مينا موريس الذي كان يستعد لجلسة مع نيفين لكي يرفع تقرير تشخيص مبدئي لحالتها، ولكن لم يكن هذا ما يشغل باله من حيث الأولوية؛ حيث إنه مهتم في المقام الأول بعمله الثاني وهو البيع غير القانوني للعقاقير والأدوية الخاصة بمرضى الأمراض النفسية و التي تعد نوعًا فاخرًا من المخدرات لمدمنيها، فقد قام في خلال سنوات عمله بالمستشفى بعمل شبكة بالاتفاق مع صيدلي بصيدلية المستشفى مستغلًا أيضًا صلة قرابته بابن عمه ألفي

بالحسابات، وفي خلال سنة كان قد صنع مجموعة من المرضى الوهميين الذي يتم صرف أدوية لهم بصورة طبيعية تنتهي ببيعها خارج المستشفى، فيصنع مصدر دخل آخر لنفسه، إلى جانب أن العمل بالمستشفى الحكومي يكون براتب غير مُجدي، فإن الدكتور مينا يرى أن الحياة ليست كما يراها الجميع خطًا مستقيمًا ببداية ونهاية، بل هي مجموعة شوارع قد تكون نهايتها واحدة، ولكنك يجب أن تسير بها جميعا وترى كل شيء وتكسب من كل طريق ما يمكنك أن تكسبه، الحياة كافية للجميع أن يكسب فأصبحت المواءمات لعبته.

يتذكّر ما قاله له أبوه الراحل منذ سنوات:

- المال هو طريق السعادة.

وتكوينه الجسدي القصير والرفيع ونظارته الصغيرة توحي بأنه ذكي، فهذا يعطيه مع معطف الأطباء الشكل الكلاسيكي للشخص اللئيم مع أنف مقوّس وشعر أسود ناعم مصفّف على طريقة ألمانية كلاسيكية، شخص فضولي جدًا، ولكنه ذكي ولكنه لا يُظهر هذا أبدًا، فهو مهتم بقضية نيفين ويشعر بالإثارة للحديث معها، ولكن عليه أن يتأكد أولًا أن الروشتات المزيفة التي أرسلها سيتم صرفها بلا أي عوائق. بجانبه يقف ذراعه الأيمن الممرض شوقي رزق البطاح الشهير بأبي حياة، خمسيني طويل القامة رفيع البنيان، ولكنه كما يقولون عصب، أي أنه قوي بدنيًا وصعب النزال، سمات وجهه تشبه فتوات أول القرن الماضي، بوجه مستطيل أصلع ويمتلك شاربًا رفيعًا تحت أنف حادة وفوقهم عينان صغيرتان يشعان عدة ألوان داكنة

من الأمل، يمسك في يده دائمًا كوب شاي بلبن، يساعد الدكتور مينا كعادته دون أن يطلب مقابلًا هو يعرف أنه يأخذه مسبقًا من الدكتور كلما احتاج، هو يقوم بكل الأعمال الميدانية الخاصة بتجارة مينا الذي يحميه وبمثابة ظهر له في المستشفى، ورغم أن مينا على علم بتاريخ شوقي الأسود، الا أن المصلحة تجعل أكبر السفن تسير في أضيق القنوات المائية.

- هل تعرف يا دكتور ما أقوى مخدّر في مصر؟

لا يلتفت له مينا لأنه تعوّد على سماع فلسفة شوقي المستمرة وآرائه في الحياة.

- ما هو يا شوقي أفندي؟

هكذا يلقّبه، وهو لقب يتماشى مع هيئته القديمة.

- النادي الأهلي.

- لأنك تعشقه.

- بالتأكيد، هو مخدر لجمهوره. تخيّل أنك تشجّع كيانًا لا يخسر أبدًا، كلما شاهدته يلعب شعرت بالسعادة، تفتح التلفاز يمجّدون في نجاحاته، تفتح الإنترنت تجد ألف شخص يقولون لك: أنت أهلاوي، إذن أنت عظيم وتنتمي لكيان عظيم، كل هذا دون أن تدفع مليمًا، مخدر القرن الحقيقي، عيبه فقط عندما يخسر، كأنك حلمت بليلة من ليالي الأُنس واكتشفت بعد ذلك أن قطعة الحشيش مغشوشة، البلد تُظلم والجميع ينام مبكرًا، أنا كنت مهووس به منذ الصغر.

- وعندما كبرت أصحبت تدمن أشياء أخرى على ما أعرف.

يصمت شوقي بعد أن قطع مينا عليه طريق فلسفته، مينا يعرف كيف يحجّمه دائمًا ويذكّره أنه يعرف عنه كل شيء، قبل أن يستطرد مينا:

- اصرف هذه الأدوية وخذها بنفسك من الصيدلية وضعها في شنطة سياراتي، أعتقد أنك تعرف أين تضعها بالضبط.

- تمام يا دكتور، اطمئن.

- أنا بالفعل مطمئن.

ويترك شوقي المكتب قبل أن يقف مينا ويأخذ نفسًا عميقًا أمام النافذة استعدادًا للإثارة.

***

- مساء الخير دكتورة نيفين.

صوت الدكتور مينا يتماشى مع هيئته، هناك صوت يصدر في أول كلماته كصوت فحيح الثعابين وتنتهي جُمله دائمًا بموسيقي ابتلاع صعب للريق، إلى جانب حركة عصبية في خده الأيمن عندما ينفعل بالابتسام أو القلق، رغم أنه في منتصف الثلاثينات إلا أنه يبدو كعجوز في الستينيات في صوته وحجم جسده، يجلس على الكرسي في غرفة نيفين بينما هي تجلس على فراشها يفصل بينهما مسافة وهو يمسك بأوراق ويقرأ ما فيها، بينما تحدّق هي فيه دون أن تحرّك شفتيها، تمر دقيقتان من هدوء وهي لا ترفع عينيها عنه بينما هو لا يرفع عينيه عن الأوراق قبل أن يتحدث:

- لقد قرأت ملفك كاملًا، الخبر الجيد أننا مواليد نفس العام ونفس الشهر أيضًا، شهر نوفمبر، حيث البرج الأسود، العقارب التي لا تثق في أحد نهائيًا، وهذا يجعلني أشعر بالطمأنينة أننا نتشارك شيئًا ما حتى وإن كان عيبًا، غير ذلك لقد قرأت تاريخك الطبي، أنت شخص يمتلك ماضيًا صعبًا وصدمات عديدة وتجارب نفسية شديدة التعقيد، وهذا كله يؤخذ في الاعتبار عند تقييم حالتك، لكن هذا كله ليس له أي علاقة بالأعراض التي تظهرينها، كل ما تبدينه هي أعراض اضطراب ثنائي القطب، ومن الواضح أن هناك خطة علاج منذ زمن معكِ، والصراحة كل هذا ليس له أي علاقة بالجريمة المتهمة أنت بها، أنت تعرفين كيف تقومي بتمثيل أعراض الفصام من هلاوس وتمتمة، ولكن أنا رأيت آلافًا من مرضى الفصام وكل الأمراض التي لا مكان يجده العقل في مخ مريضها وأستطيع القول إنني أمام حالة إنسان في كامل قواه العقلية، هل تتفقين معي في ذلك؟

لا تتحرك خلية في جلد نيفين، جامدة أمامه كالجثة في أول ساعات الموت، تنظر له دون أن ترمش حتى، ويظل هو مثبتًا عينيه في عينيها لثوانٍ قبل أن يعود للنظر في الأوراق ويستطرد:

- سوف نقوم بعمل رنين مغناطيسي وتخطيط كهربي للمخ، أعتقد أن النتائج ستكون لصالحك وسيظهر أن هناك اضطراب ما في المخ، لكن هذا ليس كافيًا بالطبع، يجب أن يكون هناك تقرير طبيب يدعم هذه النتائج، ولهذا عليّ أن أكتب تقريرًا يدعم ذلك.

ثم يضع الأوراق على المنضدة وينظر إليها:

- ولهذا عليك أن تتكلمي، ويجب أن تردي على أسئلتي، وأعدك

أنني لن أكتب شيئًا دون أن يكون حقيقيًا ونتفق عليه، دكتور الطب النفسي كالقَس، لا يُفشي أي اعترافات تُقال في الغرف المغلقة.

كان يعلم داخله أن الصمت قد يظل هو حال جلساته معها، الصمت هو أفضل ردٌ مبهم عرفه التاريخ، لا ينفي أو يؤكد أي شيء، بل يترك الطرف الآخر في شَرَك التخمين، لا نور في نفقِه سوى أن يفتح الطرف الآخر فمه بالإجابات، ولكنها تقرر أن تتركه هكذا دون رد، في تحدٍ تظل عيناهما ثابتتان في لقاء الخرس إلى أن يقرر هو التنحي والعودة بعينيه إلى الأوراق قبل أن يقبض عليها بيده في انفعال مستتر، مينا يكره الشعور بالخسارة بالرغم أنها منطقية في أول جولة يستكشف فيها غريمه أو مريضه في هذه الحالة، يقف وينظر إليها نظرة أخيرة:

- إذن نعتبر هذا اللقاء تعارفًا، نلتقي قريبًا دكتورة نيفين.

ثم يخرج من الغرفة ويتركها على نفس الحال، تظل جالسة كما هي دون حركة واحدة أو تغيُر في ملامح الوجه سوى أنها تستكمل النوم في هدوء بعد هذا اللقاء بعدة دقائق وكأن شيئًا ما لم يكن.

***

يعود مينا إلى منزله كعادته بعد أن تنتهي نوبة عمله الصباحية بالمستشفى الساعة الرابعة عصرًا، يسكن بالمعادي على مسافة نصف ساعة تقريبًا من عمله في منطقة هادئة نوعًا ما داخل شوارع متشابكة في عمارة قديمة في شقة الدور الثاني، توفيت والدته وهو صغير ، ثم لحقها والده منذ عدة سنوات، لم يتزوج لأن شهوة جمع المال داخله أقوى من باقي الشهوات وأعلى قيمة من عاطفة الحب،

بعد وفاة والده اقتسم الشقة مع أخيه جون الذي يعمل في مجال البرمجة إلى نصفين، نصف جون حيث غرفة نومه وغرفة عمله الخاص التي تشبه الاستوديو فهو يعمل من المنزل، والنصف الآخر هو الخاص بمينا حيث غرفة نومه ومخزن لأدوية الأمراض النفسية التي يقوم بصرفها وإعادة بيعها مرة أخرى مستغلًا علاقاته وشبكته، عندما يصل إلى المنزل يجد أخاه مستيقظًا وهو حدث نادر؛ في الغالب يستيقظ جون قرب غروب الشمس.

- صباح الخير، أراك مبكرًا على غير عادتك.

- نعم، اجلس، أريد أن أقصّ عليك شيئًا هامًا.

يجلس مينا في اهتمام وهو يرد عليه:

- شيء هام لي يعني أن هناك أموالًا تحلّق في الأفق.

يبتسم جون:

- هذا هو العالم بالنسبة لك! قد يكون هناك، على حسب إمكانياتك.

- تفضل.

يجلس جون على كرسي وثير خاص به في الصالة أمام التلفاز، مختلف في الهيئة تمامًا عن مينا؛ أكثر طولًا وسمين بشعر طويل ولحية كبيرة مهذّبة، قد يتشابه معه في الملامح، ولكن لاختلاف السمات يذوب هذا الشبه، حتى الشخصية تختلف.

- الشركة اشترت ترأخيص منتج جديد، هذا المنتج ثورة في عالم التكنولوجيا.

- أخاف من عالم التكنولوجيا هذا دائمًا.

- لماذا؟

- لأني أعلم أن يومًا ما ستنتج شيئًا يسبب الهلاوس ويقضي على حبوب الهلوسة وتنتهي لقمة عيشي.

يضحك جون بقهقهة كبيرة ويرد:

- ألف مبروك، لقد وصل خوفك الأكبر إلى محطته الأخيرة.

تتغير ملامح مينا والابتسامة الخبيثة تعلو وجهه:

- اللعنة، احكِ ما عندك.

- شركة اسمها ويزردو Wizardo تعمل في تطوير الذكاء الاصطناعي مع نظارات الواقع الافتراضي، ويستثمر بها العديد من كبار متخصصي التكنولوجيا في العالم، وصلت إلى نموذج جديد من نظارات العالم الافتراضي مع تطبيق جديد اسمه انفينت دريم infinite dream، سويًا يصنعان واقعًا افتراضيًا، ولكنه واقعي، أي أنك سترى عالمًا واقعيًا بها.

ينظر له مينا نظرة يفهم منها جون أنه لم يفهم جيدًا، فيستطرد:

- أي أنك لن ترى كالمعتاد جرافيك كالألعاب، بل كأنك في فيلم كل ما تراه حقيقي، تسير داخله وتمشي فيه كأنه حلم بالضبط، عالم حقيقي لا تستطيع التحكم فيه حتى الآن، ولكنك تستطيع العيش فيه بصورة كاملة حقيقية دون أي أخطاء في الجرافيك أو غيره.

يرتفع حاجبا مينا سويًا في دهشة وحذر وتتغير ملامحه:

- هذا شيء خطر للغاية.

- قالوا ذلك، لكن لماذا؟

يعتدل مينا في جلسته:

- مهما حدث في الألعاب أو نظارات الواقع الافتراضي فيكون كل ذلك برؤية غير حقيقية مثل الجرافيك تعطي تنبيهًا للعقل أن كل ما يحدث ليس حقيقيًا، ولكن إذا تحوّل كل ذلك إلى حقيقي سيكون انطباعه على العقل مخيفًا، لكي تفهم ذلك أكثر اربطها بالحلم، تأثير رؤيتنا للأحلام علينا كبشر، قد تستيقظ ولا تستطيع التفرقة بين الواقع والحلم، إذا ضُربت في مكان ما في جسدك وأنت في حلم تستيقظ وهذه المنطقة تؤلمك، إن الألم النفسي مسبب مباشر للألم الجسدي. تخيّل ماذا يحدث إذا اندمجت داخل قصة طويلة في هذا العالم انتهت بأن أحدهم طعنك بالسكين، قد تموت في الحقيقة هلعًا من هذا المشهد.

يرد جون بابتسامة:

- هذا لا يحدث وأنت تشاهد فيلمًا يا مينا.

- لا يحدث لأنك خارج التلفاز، وأنت داخله هذه قصة أخرى، قصة مخيفة، كيف سيمر هذا التطبيق من الرقابة؟

تتسع ابتسامة جون في هذه اللحظة وهو يرد:

- لماذا تعتقد أن الشركة باعت لنا حقوق تجربة هذا التطبيق، لأن التطبيق يحتاج إلى الكثير من الموافقات العالمية حتى يتم تجربته، تجارب سريرية والعديد من الموافقات الطبية إلى آخره، بينما هنا

في مصر قد تشتريه الشرطة لتنتزع اعترافات من المتهمين، هنا الوضع مختلف، يمكننا التجربة هنا كما نريد والمعدات والنظارات تم شحنها بالفعل، وبالطبع التجربة تحتاج إلى إشراف طبي من دكتور مُعتمَد يحمل ماجستير، حتى إن كان قد حصل عليه من أجل زيادة الراتب.

ينظر له مينا وحاجباه منعقدان:

- جون، ماذا تعتقد في أخيك؟

- شخص يعشق الأوراق النقدية خاصة الخضراء منها.

- بالطبع، هناك ماكينة قهوة جديدة أريد أن أضمها إلى مجموعتي.

يرفع جون كوب القهوة بيده إلى أعلى في صورة احتفالية بأخيه الأكبر الذي يقف ويتجه إلى غرفته وابتسامة أمل في وجهه، الأمل بضاعة كأي بضاعة بالنسبة له، وقتما حضرت النقود أصبح الأمل رخيصًا، فاليأس هو شيء غالي الثمن.

***

أسوأ شيء قد يصادف الإنسان هو اختلاط المشاعر داخله من امتزاج موقف ما صادم مع كل ما يحمله من ذكريات وتجارب، يتحرر الألم من كل قيوده وينسج من الذكريات والواقع رداء من الحزن لا يستطيع من يرتديه خلعه من جسده أو عدم التأمل فيه كلما صادف مرآة، فما بالك إذا كان محرّك قوي كمشاعر الفقد يحرك كل هذا الاختلاط داخل شخص ما، كيف سيكون حاله داخليًا؟

- أستاذ أحمد، هل أنت جاهز؟

يقف المهندس أحمد بشارة بصعوبة مستندًا إلى عكاز، رفيقه الجديد هذه الأيام بعد أن نجا بمعجزة مقصودة من الموت بجانب زوجته وابنه الوحيد، ظل عشرة أيام في المستشفى ما بين غيبوبة وصدمة، والآن هو يجد القوة لكي يتحرك، ولكنه لا يجد القوة اللازمة للحديث، يدخل إليه الطبيب الذي يجده واقفًا في غرفته فيتحدث:

- يبدو أنك بدأت في استرداد عافيتك مهندس أحمد.

لا يرد. يجلس كلاهما على كرسيين في غرفة المهندس أحمد بالمستشفى، كان الطبيب يعلم أن مع كم العقاقير المخدِّرة التي أُعطيت لأحمد أن هذا اللقاء روتيني جدًا؛ فالشخص الذي سيتحدث معه ليس الشخص الجالس أمامه، فالجالس أمامه حقيقةً حطام شخص أو ما تبقّى من إنسان مدمّر، أمّا من سيتحدث معه الآن هي العقاقير فقط.

- كيف تشعر الآن بعد الدواء الجديد؟

ينظر له أحمد بهدوء، الدواء الجديد هو مخدر أقوى، لا يعالج شيئًا، ولكنه يخفِّف الألم.

- لا شيء جديد.

يرد أحمد بصوت مبحوح:

- لا يوجد أي تحسّن ملحوظ.

- التحسن أن يتغير شيء ما، لا شيء سيتغير داخلي، وبالطبع لا

يوجد دواء يعيد ابني أو زوجتي، هل لديك شيء ما يستطيع عمل ذلك يا دكتور؟

لا يرد الطبيب، من الصعب الرد على هذه الأسئلة، والأصعب الحديث عن الإيمان والقدر في لحظات الغضب الجامح الملجم بتأثير الكيمياء. ينتقل الطبيب إلى حديث آخر:

- هل تستطيع النوم الآن؟

يصمت لثوانٍ وهو يلتقط أنفاسًا ثقيلة:

- نادية زوجتي كانت تعاني من مشكلة في التنفس تجعل صوت نفسها ثقيلًا، ما زلت اسمعه بجانبي حتى الآن، وكلما وضعت رأسي على الوسادة لا أستطيع النوم.

يدوّن الطبيب في هدوء بينما يستطرد أحمد:

- يشعر ابني في آخر الأيام بالقلق، كان يستيقظ ليلًا ويأتي إلى غرفتنا متسللًا، كنت أسمع خطواته وأفتح عيني أجده واقفًا أمامي راجيًا النوم معنا، كلما وضعت رأسي على الوسادة ونمت على جانبي ثم أغمضت عيني وفتحتها أرى ظل هيئته بلا ملامح وجه، أظل جالسًا طوال الليل على هذا الكرسي.

ويشير إلى المقعد الجالس هو عليه بيد مرتعشة وضعيفة، يتحدث الطبيب محاولا الفكاك من الغيوم التي يفرضها عقل أحمد على سقف الغرفة وتخنقه:

- هل تراهم وأنت جالس معي الآن؟

يقولها لأحمد الذي بعد أن قال جملته الأخيرة ثبّت عينيه على ركن الغرفة وهو ينظر إلى عيني دمية ابنه الصغيرة التي صاحبت ابنه حتى لحظات النهاية قبل أن تنسحب العقاقير من عقله ويدرك أن لا شيء هناك.

- ماذا كان السؤال؟

يقولها أحمد فيتغاضى الطبيب عن إعادة السؤال ويسأل سؤالًا آخر:

- أين ستعيش بعد أن تخرج من هنا؟

- مع والدتي بالطبع.

- ماذا عن العمل؟ قد يساعدك على العودة للحياة مرة أخرى.

- وماذا بعد أن أنتهي من العمل، لمن سأذهب؟ وماذا سأفعل بالراتب؟ لمن سأذهب إلى العمل في الأساس؟

يحافظ الطبيب على هدوئه، لا يتأثر بالإجابات، ولكنه يدوّنها. يستطرد أحمد:

- أعتقد أنها نجحت نجاحًا مبهرًا كعادتها.

يلتفت له الطبيب ويتوقف عن الكتابة وهو يسأل:

- من تعني؟

- نيفين، نجحت أن تدمر لي حياتي كما وعدت، وضعتني في دائرة مغلقة من العذاب الأبدي، لم أفهم معنى أن تدمر حياة شخص، لم أفهم حجم الألم ولا معنى أن شخصًا دُمرت حياته للأبد، هي ألقت

القنبلة على منزلي فدمرته كله وأنا أقف عاجزًا عن فعل أي شيء، تركتني للحسرة أسيرًا للأبد.

يبتلع الطبيب ريقه بصعوبة ويستكمل في هدوء الكتابة والسؤال:

- وبماذا تفكر الآن؟

يحاول أن يلتقط نفسه عميقًا بصعوبة، يقطعه في نصفه ويرد بوجه محتقن:

- الانتقام.

يظل يسعل في هيستيريا فيتحرك الطبيب محاولًا مساعدته، وجهه يحمر في غضب يختبئ خلف الاختناق، يقع على الأرض مغشيًا عليه، بينما ينادي الطبيب الممرضين لمساعدته، وأحمد يتمنى ألا يستيقظ أو يفيق مرة أخرى، ولكن كل أماني أحمد تتحطم كالعادة، وسيظل يستيقظ ليواجه الحقيقة التي تظل بنفس المرارة كل مرة واجهتها، وكلما استيقظ اختلطت صورة زوجته وابنه مع صورة الوحش الذي يعتقد أنه كان يشاهده يخسر كل شيء في متعة، الغول الذي كان ينام في حضنه في سلام وعندما استيقظ ابتلعه هو وأسرته.. صورة نيفين.

الفصل الثاني: سيدة الذكريات المخيفة

(الذكرى جرح لم يلتئم، نزيف لا يقف، وأحد أسباب الوفاة)

*

- صباح الخير دكتورة نيفين.

زيارة جديدة من الدكتور مينا لنيفين، لم يخرج منها بأي كلمات في الأسبوع الأول وقد اقترب موعد التقرير الأوّلي الذي على أساسه سيتم التجديد لها في المستشفى أو سيقرر أن حالتها النفسية مستقرة وتعود لتستكمل درجات التقاضي الطبيعية والتي من الواضح أنها لن تنتهي نهاية سعيدة أبدًا بالنسبة لها، هي ملتزمة الصمت دائمًا أو نائمة، أدرك هو مع الوقت أنها ليست طبيعية، وأنه أمام حالة تستحق الاهتمام، لا يوجد إنسان طبيعي يحتمل هذه الوحدة وهذا الصمت والعزلة، إلى جانب أنها متهمة في جريمة بشعة ولها تاريخ طبي مع المرض النفسي. هناك آلاف الأسئلة لديه حول حالتها، ولكنه لم يجد البداية المناسبة لكي يفتح معها حوارًا، في النهاية، هذا ما يجعل هذه المهنة مثيرة؛ إنها تعطيك الفرصة في التعامل مع أنواع فريدة من البشر ليس كباقي المملين، وهذه المرة يجب أن يحصل منها على جواب.

- تعرفين أنني يجب أن أقدم تقريرًا طبيًا اليوم، وإذا لم تتحدثي سأضطر آسفًا أن أقر أن حالتك النفسية طبيعية وأوصي بخروجك من المستشفى لتواجهي مصيرك المحتوم، فاذا كان لديك شيء ما تريدين أن تتحدثي عنه، فالآن الفرصة الأخيرة.

يتحدث بطريقة تحذيرية هذه المرة، بينما هي جالسة على السرير تحتضن ركبتيها وتدفن رأسها بينهما في صمت كعادتها، تظل ثواني دون حركة أو رد فعل وهو ينظر لها ويلمح عينيها مغمضتين في هدوء، ثم تفتحهم في هدوء مرة أخرى، وتعتدل على الفراش وتجلس على السرير بصورة نشيطة.

رفع مينا حاجبيه في دهشة قبل أن تنظر له برأس مائلة ناحية اليمين بنظرة عين مخيفة نوعًا ما، التقى هو بهذه النظرة من قبل عدة مرات ويعرفها من لقائه مع فئة معينة من المرضى، هذه الفئة أصحاب (الأجنحة المغلقة) الأكثر عنفًا مع نفسهم، وبالأخص مع الآخرين. تسارعت دقات قلبه وهي تحملق فيه، ووضع عينيه في التقرير الذي في يده وأمسك القلم وتحدّث في هدوء ليخفي الفزع الخفيف الذي هاجمه الآن:

- دعينا نبدأ من جديد، بماذا تشعرين الآن؟

ترد لأول مرة بنشاط وقوة وصوت عالٍ وواضح عكس توقُّعه:

- أشعر بشيء ما غريب الآن.

يبدأ في الكتابة وهو يجاريها في الحوار:

- ما هو؟ اشرحي لي بمَ تشعرين بكامل هدوئك وراحتك.

ترد بسرعة عند انتهاء جملته:

- أشعر أنني أجلس مع شخص ذكي، كلامك يدل على ذلك، وقد يكون صوتك أيضًا، وهذا هو الغريب، فكلما نظرت لهيئتك ومكان عملك وماذا تعمل أعرف عندها أنك لست ذكيًا نهائيًا، إنك قشرة،

الإنسان هو ما يختاره لنفسه، وإذا كان هذا ما اخترته لنفسك فأنت شخص غبي بجانب أنك فقير. كلما جئت إلى هنا تلعب معي لعبة لكي تجعلني أتكلم، تعتقد أنك ستدهشني بذكائك أو تبتزني بسلطتك، ضع ذكاءك وسلطتك في مؤخرتك يا دكتور مينا، أنت لا تعرف مع من تتحدث.

يكتب مينا ما تقول دون أن ينظر إليها مختبئًا لعوانٍ في أوراقه حتى يجهّز الرد المناسب. هذا لا يمنع أنه شعر بسخونة ما داخله وهو يستجمع مشاعره التي تفرّقت مع كرامته التي احتاج لعوانٍ لكي يتجمد قبل أن يستجمع ما سيقول، أغلق عينيه للحظات ورفعهما، لم يلاحظ في هذه اللحظة التي استجمع بها نفسه أن نيفين تركت السرير وجلست على الكرسي المقابل له على المنضدة، فعندما فتح عينيه وجدها اقتربت منه تجلس وتحملق في عينيه باستنفار وكأنها ستدخل في عقله. زاد الفزع داخله، ولكنه ضغط نفسه حتى وصل إلى آخر دواسة الوقود الداخلي ليرد:

- دكتورة نيفين، أنا لم أقصد ترك انطباع سيىء لديك، وإذا كان هذا ما تشعرين به أنا أعتذر بشدة، ومقاييس الذكاء تختلف عند الناس، وأنا لا أصدّقها ولا أحب وصف نفسي بها، أنا أصف نفسي بأني رجل مؤمن، أعرف أن كل ما سأجنيه هو قدري، وإذا كان القدر أن أجلس معك وأسمع ردك القوي هذا فأنا أقبله كما قبلت القدر، كل ما أريدك أن تعرفيه أن كل ما قلته هو أسلوب لدفعك للحديث وليس الغرض منه استفزازك بالطبع، بل مساعدتك.

لا تتغير ملامح وجهها ولا ترد لتعطيه فرصة، فيحاول العودة

للسيطرة مرة أخرى:

- دكتورة نيفين، يجب أن تعرفي أنني لست ضدك، بل معك، على عكس ما تعتقدين، أنا الوحيد الذي معك في ظل أن أسرتك الكبيرة تخلّت عنك، لم يقم أحد بأي نوع من التوصية عليك رغم أن حتى أعتى السفاحين الذين دخلوا هذا المستشفى الحكومي تمت التوصية عليهم، بل هناك مكالمات هاتفية تختار ما يُكتب في تقرير المريض وهذا ما كان طبيعيًا أن يحدث في حالتك، ولكن من الواضح أن الجميع تخلى عنك وأنت تعرفين ذلك. أعرف أن كلماتي قاسية وبها تهديد، ولكنه ليس كذلك، أنا أقر واقعًا يحدث وأنت تعرفين ذلك، لننظر للمهم لمصلحتك أولًا.

كلماته كانت قوية وقد قالها بحِدة، لم يكن يعرف إن كان ما قاله كان يجب أن يقال أم لا، ولم يكن يعرف إذا كان الوقت صحيحًا أم الطريقة مناسبة للوضع، ولكنه يجب أن يحتويها بطريقة أو بأخرى.

هذه المرة استطاع تحمل الضوضاء الصادرة من اصطدام كفِّها بالمنضدة المعدنية في غضب قاطعة حديثه، ليعم الصمت لتوانٍ ووجها لا تتغير ملامحه، قبل أن تتحدث بلهجتها الحادة:

- لا أعرف آخر مرة سمعت من شخص يقول: أنا مؤمن. ومن الحماقة أن يتحدث أي شخص عن إيمانه لأنه شيء داخلي للإنسان، أنا لم أصدق عرضك لملابسك الداخلية المهترئة من الاستخدام الدائم دون تغيير، ولا أطيق رائحتها أيضًا، لكن كلماتك عن موقفي والواقع قد تكون شيئًا أنا أفهمه، ولكنك يجب عندما تتحدث أن تعرف لمن توجّه الكلام، أنا عشت هذه الحياة مئة مرة أكثر مما

تعرفه أنت، أنا نهاية العالم بالنسبة لك، أنا أعرف إن كان ما تقوله صحيحًا أم كاذبًا، فاحذرني.

جنون العظمة والارتياب مع ميل واضح للعنف وذكاء شديد، خليط لن تجده في شخصية أقل من إدولف هتلر تجلس الآن مع الدكتور مينا الذي بدأ في استجماع هدوئه بشدة قبل أن يستطرد:

- دعنا نجد البداية المناسبة مرة أخرى، سأعقد معك اتفاقًا، سأكتب في تقريري أنك في حالتك يجب أن تبقي في المستشفى، أعتقد أنك تُفضلين هذا، ولكن يجب أن تتحدثي معي لكي أكتب تقريرًا حقيقيًا.

انتظر منها الرد وهي لا تغير موضع عينيها من على وجهه، لا يبدو على ملاحها التفكير، لا يبدو أي شيء، وكأن هذا ليس وجهها، بل قناعًا مصمتًا ترتديه، يتساءل داخله: كيف كانت تعيش وسط الناس قبل ذلك؟ هذا المستشفى تم بناؤه ليكون منزلًا لأمثالها. ترد في هدوء:

- لا مانع لدي،

تقف وتذهب للفراش وهي تستطرد:

- لكن المرة القادمة، الآن أستكمل النوم.

وتستلقي على السرير وتضع الغطاء عليها متجاهلة مينا تمامًا وكأنه لم يكن موجودًا أو كانوا يتحدثون، كان جسده قد تجمّد من مفاجآت الحوار فأخذ ثواني لينهض من مقعده ويخرج من الغرفة ليأتي شوقي ويوصد الباب خلفه، وبينما يأخذ نفسًا عميقًا ويهدأ يسمع شوقي يقول:

- جميلة هذه الدكتورة، لكن يبدو أن عقلها غير ذلك.

ينظر له مينا في شيء من العصبية بينما هو يستطرد:

- لكن من يريد من المرأة عقلها على أي حال؟

تتحول النظرة العصبية إلى نوع من الاحتقار فيقرّر تجاهله حتى لا يضغط على أعصابه أكثر قبل أن يذهب إلى غرفته ليقوم بدوره في الاتفاق وهو ما زال لا يعلم إذا كان ما يفعله صحيحًا أم لا، هل إعجابه بعقل نيفين سيكون مصدر إثارة وتسلية لوقته في المستشفى خاصة أنه من النادر وجود شخص مثلها في المستشفى الحكومي الهزيل، أم سيدفع ثمنه بعد ذلك؟

***

- وماذا بعد أن أتزوجها، ما الخطة؟

- أولًا: هي ثرية ثراءً فاحشًا، لن تتكلّف شيئًا للزواج بها، ولهذا لا توجد مخاطرة، ثانيًا: أنت تبيع تطبيقات حلول المخازن للشركات، وهي وأسرتها كنز بالنسبة لك، بخلاف أنهم يمتلكون سلسلة مستشفيات وعيادات ستفتح لك الباب لمعارف أخرى تبيع من خلالها، كل شيء يقول إنها قد تكون حلًا لنا لنكسر التجمُّد الذي نحن فيه، إلا إذا كنت راضيًا بحياتنا هذه في شقة إيجار جديد وسيارة لم تُجدد من عشر سنوات، يجب أن نفعل شيئًا مختلفًا لتختلف حياتنا ونستطيع أن نمتلك.

- هل تعرفين ما يقال عنها يا نادية؟ إنها مريضة نفسية.

- هذه هي الميزة بالمناسبة يا أحمد، لن يقترب منها أحد، إلى جانب

أنه يقال إنها لا تستطيع الإنجاب، وأسرتها تتجنبها أيضًا، هذا يعني أن أحدًا لن يقف أمامك أو يعترض على هذه الزيجة منهم، أنت لا تعرف حجم الأموال التي يملكونها، أنا اعمل في حسابات مستشفى واحد فقط من مستشفياتهم وأرى الملايين تطير إلى حساباتهم، أستطيع الحصول على كل المعلومات التي يمكنك استخدامها في التقرُّب منها، مدير الحسابات لدينا ابن عمها وهو ثرثار، سأغطي لك كل شيء، كل ما هو مطلوب منك أن تقنعها بك، تتزوجها، نجني ما نستطيع من فوائد ثم تطلقها. استغل الفرصة الآن؛ هي تعيش أيامًا سيئة على ما عرفت، والأيام السيئة أفضل فرصة لظهور أبطال القصص الدرامية السخيفة، لن نخسر شيئًا، على الأقل ستحصل على أمنية كل الرجال.. الزوجة الثانية.

ثم تضحك نادية زوجة أحمد بشارة بقهقهة قبل أن يبدأ الزبد الأبيض يسيل من فمها وتبدأ في الاختناق وتعود صورة لحظة موتها إلى ذهنه لتقطع ذكرياته عن ما قبل الواقعة، كل ذكرياته عن زوجته وابنه أصبحت مشوّهة وتنتهي بحادثة موتهم، مثل ما كان يعود ليلًا حاملًا الخبز الفينو فيخطف ابنه رغيفًا منه ويجلس يأكله وسط ألعابه، كلما جاءت الذكري تتحول إلى مشهد ابنه وهو يعض أصابع قدميه من الجوع وهو مقيد فتتحطم الذكرى، أحمد مثل باقي البشر بنى عالمه بألوان الأسرة الدافئة، فعندما تدمّر العالم احتواه الحطام وصار عالمه يحتمي بالموت بعدما كان يحتمي بالحياة، كان كل هذا تخطيط زوجته وهو كان يميل له كأي رجل يريد لحظات نشوة زائدة في حياته التي منذ ولادة ابنه أصبح معدل الجنس فيها يصل إلى أسوأ ما كان يعتقد لدرجة أنه لم يعد يفهم ما فائدة الزواج.

استغل جشع زوجته ليحقق هدفًا مشتركًا بينهما تعلم هي أيضًا أنه يريده، وهو رجل جذاب ويجيد كل المهارات الاجتماعية للنصّاب، هذه المهارات التي أصبحت سِمة النجاح في المجتمع ويمكن استغلالها في مكسب سريع.

لن يمر الكثير قبل أن ينسج خيوطه حول نيفين التي يكتشف أنها ليست بهذا السوء، فيكسب قلبها، بل يدفعها أن تتزوجه فورًا قبل أن تقول لأسرتها، حتى في لحظة رومانسية جدًا بدأت بأحد المطاعم الإيطالية بالمقطم وانتهت في يخت بالجونة، كان سعيدًا لأنه يعيش لحظات عاطفية جديدة مع امرأة جديدة حتى إن كانت غريبة الأطوار قليلًا، ولكنه كان هائمًا من السعادة، وقضى شهر عسل من 5 أيام ذهبية قبل أن يعود للقاهرة مرة أخرى ويكتشف أن الخيوط التي نسجها لها وقع هو فيها وحيدًا. اكتشف بالطريقة الصعبة الوجه الآخر لهذه المغلوبة على أمرها الحائرة التي تعيش على المهدئات النفسية، محبة للسيطرة، عصبية وعنيفة، في أول اختلاف عادي بينهما بصقت في كفها وصفعته على وجهه في مفاجأة أصابته بصدمة وهي تحذره أن عليه دائمًا أن يتذكر من هي ومن هو، كانت تعرف أنه متزوج وتتشاجر معه حتى لا يذهب إلى زوجته وابنه وتكلمه كل يوم في العمل ليعود إليها، حتى الجنس معها كانت تفعل أشياء غريبة وعدوانية، كان يشعر أنه الجحيم بعينه، فور أن تزوجها قاطعها أهلها ففقد الميزة في التقرّب منهم، وكانت تعرف أنه يسعى وراء نقودها فلم تجعل له أي منفذ للحصول عليها.

كانت القنبلة الحقيقية بخبر حملها منه، فبينما هو يحاول التحضير لفك الارتباط تحاصره هي بطفل سيصير رباطًا بينهما إلى النهاية،

فبدأ هو في التخطيط للوصول لهذه النهاية قبل أن تبدأ.

***

- في البداية من وجهة نظرك دكتورة نيفين، هل تعتقدين أنك مريضة؟

قالها الدكتور مينا وهو يجلس في غرفة نيفين وكلاهما جالسان متقابلان على بُعد متر من بعضهما دون وضع المنضدة بينهما، قرر أن يتعامل معها بطريقتها، فقرر أن يعطيها دفة الحوار ويفخّم وضعها العام مما يناسب الأنا العالية داخلها لكي يستطيع التواصل معها والخروج منها بكل ما يريد، ترد عليه بهدوء حازم:

- لقد وُلدت مريضة، أغلب حياتي قضيتها أتقلّب في أمواج المرض، لم أعرف أنني كذلك لفترة طويلة، كنت أعتقد أن هذه هي الحياة العادية وأن الجميع مرضى، حتى اكتشفت أنني يجب أن أُشفى وأن الشفاء ليس في البشر ولا الدواء، الشفاء عندما أُقر أنا بالمرض وآخذ قرار التخلُّص منه.

- وما تشخيصك لمرضك؟ وكيف استطعت الشفاء منه؟

تأخذ نفسًا عميقًا وترد:

- الخوف، كنت مريضة بالخوف.

- ما الأعراض؟ وكيف كان العلاج؟

- أن تشعر بأنك سجين نفسك وترسم حدودًا لكل شيء، الأسوار التي تصنعها حولنا أسرتنا والمجتمع والتي تعلّمك أن لكل شيء

حدودًا وقواعد وأن تختار أن تلتزم بها مهما كانت قاسية ومؤلمة، أن تبكي داخلك وحيدًا على كل إساءة تحصل لك دون أن تتخذ موقفًا معها، ليصبح فجأة هو سلاحك الأساسي الذي يقتلك أنت قبل الآخرين، تواجه كل مشاكلك بالخوف ويصبح السلاح الأساسي الهروب، تهرب لمكان جديد يخيفك أكثر فيزداد خوفك وتهرب وأنت تحمل كل هذا الرعب في قلبك، تمر الحياة وأنت تقول إنك تتعايش فتنتهي وأنت لم تعش في الأساس، بل قضيت عمرك كله على حافة الحياة أو شِبه حي، العلاج هو أن تواجه بعنف، العلاج هو الرد والانتقام، أن ترى الخوف الذي كان داخلك يسكن قلوب أعدائك ومن قاموا بظلمك، علاج الخوف أن تنزعه من قلبك وتُسكنه في قلوبهم، هكذا تصبح سليمًا، غير ذلك لن تجد الراحة أبدًا.

يدوّن مينا ما تقوله في هدوء وهو مُثار داخليًا من أفكار نيفين، كيف تستطيع منطَقَة الانتقام والجنون، لم يقاطعها، بل ينتظر أن تنتهي من الحديث ويصبر عدة ثوانٍ قبل أن يسأل:

- ولكن في هذه المرة كان هناك ضحايا حقيقيون، هل شعرتِ بالندم تجاههم؟

ترد بشكل قاطع وحاد كعادتها:

- دائمًا ما يكون هناك ضحايا، وهذه ليست أول مرة بالمناسبة.

ثم تصمت لثوانٍ وهي تشاهد حاجبي مينا يرتفعان فجأة ثم ينخفضان تدريجيًا وتستطرد:

- العالم يمجّد في الحروب وينتصر في ذكراها، هل تعتقد أن تلك

الحروب مرت دون ضحايا، بالطبع يوجد، ولكن لا أحد يذكرهم لأنهم يكونون على هامش قضية الحرب وغرضها، الضحايا يموتون لأن هذا دورهم في الحرب، ولن يذهب الخوف من داخلك وتنتصر عليه دون حرب وضحايا، العالم يحب فقط أن يتذكّر ما يريد ويخفي عينيه عن الحقيقة، سيقولون إن هناك أسرة تدمرت على يد طبيبة، ولكن لن يقول أحد أن تلك الأسرة القذرة دمرت حياتها أيضًا وأفقدتها شيئًا ما كانت تريده بشدة، رغم أنك لو نظرت بشكل عاقل ومحايد ستجد أن النهاية عادلة لكل الأطراف، في النهاية هو دفع ثمن جشعِه وكان يستحق ذلك بجدارة فنال ما يستحق، إذا كان لا يعجبه ما ناله فما كان عليه أن يقبل نصيبي في الألم الذي تسبّب فيه، أنت اخترت فعلك، فلا يجب أن تحاسب الآخرين على ردود أفعالهم.

- على ما فهمت أنك شاهدتِ كل ما حدث، وكانت مشاهدة طويلة جدًا.

- كانت ممتعة عن ما عرفت.

يحاول ألا يستوقفه الرد السريع والمريض، يساعده في ذلك أنها تستطرد سريعًا، ولأول مرة ترسم على وجهها شيئًا من ابتسامة.

- هكذا يكون العلاج، الإنسان مخزن ذكريات، إذا تملّكته قتلته، وضعته في دائرة من الجنون، كل ما عليه حتى يعالجها أن يُبدِلها بذكريات أفضل تبقى معه وتُسعد قلبه كلما تذكّرها، هذا هو العلاج، أصبحت لا أتذكّر أي شيء مما فعله بي لأنني الآن أملك في رأسي كاميرا عالية الدقة، ساعات من الألم والرعب على وجهه، هذه هي

هديتي لعقلي، ذكريات أفضل للحظات مجد وانتصار، مثلما نشعر بالفخر عندما نشاهد أفلام حرب أكتوبر ونرى الصواريخ والمدافع وهي تُزهق أرواحًا أخرى، نشعر بالفخر والكرامة وننسى أنه كانت قبلها نكسة مريرة رغم أن في النهاية كل هذا مغلّف بالموت.

تصمت قليلا لتختفي الابتسامة التي علَت وجهها الذي يرتعش رعشة خفيفة كأنه يعود إلى الوضع التلقائي بصعوبة، نفسها يعلو ويخفت برتابة المنتشي وكأنها تهبط من على جبل النشوة خطوة بخطوة ومينا يخفي شعوره بالسعادة، فهو في حياته المهنية لم يقابل هذا النموذج أبدًا، تنتقل الإثارة لداخله في الرغبة لمعرفة كيف بنى هذا العقل العبقري الخرِب. يتحدث في شيء من الاهتمام:

- مفهوم ومنطقي، وهذا يجعلني أتساءل عن كيف وصلتِ إلى هذا العلاج في النهاية؟ ذكرتِ أن هناك ضحايا سابقين، هذا يعني أنك جربتِ هذا العلاج من قبل ونجح، أريد أن أعرف عنهم إذا كنت تسمحين.

ترد بلهجة فخر ونرجسية:

- بالطبع أعرف، تعلمت كل شيء من الخوف، وهو خير معلم، أصبحت أعرف ما يخيف البشر وكيف أستخدمه وكيف تكون المعاناة، عشت الكوابيس حتى تزوجتها وأصبحت سيدتها.

تصمت قليلًا كمن يتذكر شيئًا ما:

- كل نكسة في حياتي كان يصاحبها كابوس، كل ليلة أحلم به وأعتقد أنه يحاصرني، حتى فهمت أن هذه الكوابيس تشير إلى

الحل، أصبحت الكوابيس دليلي لإنهاء كل الأزمات وكأنها صديق يدفعني لحل مشاكلي، هذه الكوابيس كانت عملًا فنيًا خالص الكمال، قد أحكيها لك يومًا ما لتعرف عظمة ما واجهت واستطعت المرور منه على قيد الحياة.

يشعر بإثارة غير طبيعية لمعرفتها، قبل أن تقف هي مرة واحدة وتشير ناحية باب الغرفة:

- ولكن الآن عليّ أن أنام، اذهب ونتحدث المرة القادمة.

تذهب إلى الفراش كعادتها دون أن تنظر له، ليقف ويخرج من الغرفة في هدوء وهو يشعر بسعادة لم يعرفها منذ زمن بعيد في مجاله، شخصية فريدة ومثيرة تجعل العمل شيئًا ذا أهمية تلك الأيام.

***

- في البداية أشكرك على حضورك اليوم يا أستاذ أحمد رغم الظروف التي تمر بها في تلك الفترة، ونحن مقدّرون ذلك تمامًا، نحن نحتاج أقوالك اليوم لأنها ستساعد كثيرًا في القضية ولا غنى عنها.

يفتتح العقيد رؤوف مأمور قسم مدينة نصر بتلك الجملة التحقيق مع أحمد بشارة وإضافة أقواله إلى ملف القضية:

- أعلم أن بعض الأسئلة قد تكون مؤلمة، ولكن لا بد منها حتى نستطيع معرفة ماذا حدث وتوجيه القضية في الإطار الصحيح.

يرد عليه أحمد بهدوء شديد:

- متفهّم يا فندم، تفضّل بالأسئلة.

يرفع رؤوف حاجبه لمساعِده ليبدأ في كتابة التحقيقات الرسمية.

- هل يمكنك أن تقول لي ما حدث يوم الجريمة؟

يأخذ أحمد نفسًا عميقًا وهو يحاول ألا يتذكر أي شيء من هذا اليوم، حتى محاولاته لاسترجاع هذا اليوم لا تنجح سوى في إعادة اللحظات الأخيرة لابنه مازن وزوجته نادية وعدسة الكاميرا، لا شيء آخر يستطيع استرجاعه، لا يتذكر قبلها ماذا حدث، كيف تم تخديره هو وزوجته؟ كيف ظل كل تلك المدة دون أن يسأل عنه أحد؟ لا شيء على الإطلاق.

- ما حدث أنني رأيت في عدة أيام ابني وزوجتي يرحلان وأنا مكبّل معهما في غرفة نومي.

يصمت قليلًا فيتفهّم العقيد رؤوف أن التوقيت لا زال غير مناسب للجوء إلى التفاصيل. صراحة، كان يقول لنفسه إن هذا الرجل عليه أن يموت دون أن يحكي تلك التفاصيل البشعة التي مر بها. يستكمل الأسئلة:

- هل السيدة نيفين أكرم جودة زوجتك حتى الآن؟

- لا، طلقتها.

- هل صحيح أنها اتهمتك بإسقاط حملها منك؟

- في البداية نعم، ثم أدركت أن كل هذا هراء فتراجعت عنه.

- هل قامت بتهديدك بالانتقام منك بسبب هذا؟

يتذكر أحمد آخر لقاء مع نيفين وهي تُفصح له عن علمها بأنه هو من قام بتلك الجريمة، آخر جملة قالتها له: (تذكّر هذا جيدًا يا أحمد، سوف ألتهمك يا أحمد، سوف ألتهمك).

- نعم، قامت بتهديدي في آخر لقاء بيننا.

- هل تتذكر ما قالته لك بالضبط في التهديد؟

- نعم، "سأحرق قلبك على أسرتك يا أحمد".

كان يكذب، ولكنه لم يكن يعرف أنه يكذب، وكأن الكذب واقع مفروض عليه.

- هل رأيتها بعدها أو قريبًا؟

- لا.

- هل تتهمها رسميًا بأنها من قامت بقتل ابنك وزوجتك والشروع في قتلك؟

يصمت أحمد لثوانٍ وهو يرى دمية ابنه أحمد على مكتب رؤوف تنظر له في حيرة:

- نعم، لا أحد غيرها.

يمسك رؤوف الكاميرا الملفوفة في حقيبة بلاستيكية ويرفعها أمام أحمد:

- هل هذه الكاميرا ملك لك؟

ينظر أحمد إلى عدسة الكاميرا فيشاهد فيها صورة ابنه وهو يبكي

ويقطع رأس دميته بأسنانه من الجوع ويبصقها عليه، فتهرب منه دمعة وهو يرد:

- لا.

- معلوماتي أن لديك واحدة محلها على باب الشقة يا باشمهندس أحمد.

- لا، الأخرى موديل آخر على ما أعتقد.

- هذا يعني أنك أول مرة ترى تلك الكاميرا؟

يصرخ أحمد في رؤوف:

- قُلت نعم، هذه أول مرة أرى تلك الكاميرا اللعينة.

- أعتذر أستاذ أحمد، اهدأ قليلًا ثم نستكمل الحديث.

تظل عيون أحمد مثبتة على عدسة الكاميرا، تلك المرة يرى فيها نيفين تضحك ساخرة منه، هو يعلم أن بعد كل هذا هي ستنتصر، أقصى ما سيحدث لها أن تمضي حياتها في مستشفى نفسي كبير كالفنادق تفعل ما تشاء، بينما هو سيعيش ينظر في عدسة الكاميرا ويتأملها تضحك عليه وفي كفيها ابنه وزوجته ترميهما عاليا للرياح فيتحولا إلى تراب ويختفيا، هو يعلم أن كل هذا بلا طائل، وأن ما يحدث الآن لن يعيد حق أحد، بل هو إعادة لشريط الذكريات كنوع من الذل له، وأن في النهاية نيفين ستنتصر.

***

يجلس مينا بصحبة جون أمام جهاز الحاسب الخاص به في

غرفته التي لا يوجد بها الكثير من الأثاث بديكور بسيط وأنيق للغاية عكس الصورة المعروفة لفوضوية المبرمجين ومن يعملون في غزلة أو من البيت، جون الذي متعة حياته هي عمله فيحب أن يكون مكان عمله يليق بالقيمة التي يقدّمها، يتحدث جون وهو يكتب على جهازه لمينا:

- سيكون الان لقاؤك الأول مع مدير المشروع، وهو لبناني اسمه آدم خلف، وباقي الفريق سيكون حاضرًا أيضًا لتعريفك بالفكرة التي يريدون تنفيذها ومعرفة ما يمكن أن تساهم به في المشروع، كن قليل الكلام وتحدّث في صلب الموضوع دون تحليل، هذه فرصتك لإقناعهم، إذا اقتنعوا ستكون جزءًا من البرنامج، ووقتها سيصبح كلامك بنقود، لم يقتنعوا إذن قل وداعًا للأخضر.

- لن ترى سوى الانبهار، طالما الدافع موجود فالنتيجة مضمونة.

يبتسم جون الذي يعرف مدي خُبث أخيه وقدراته الكبيرة رغم بساطة عمله، يبدأ لقاء العمل على شاشة الجهاز ويظهر كل المتصلين قبل أن يتحدث شخص ما فتظهر صورته على الشاشة:

- أهلًا دكتور مينا، أحب أن أعرفك بنفسي، آدم خلف مدير تطوير بالشركة ومدير مشروع infinite dream.

دون أي مقدمات أو مجاملات يبدأ آدم الاجتماع، يرد مينا بهدوء الواثق:

- أهلا سيد آدم، تشرفت بمعرفتك، تفضّل، تحدّث عن رؤيتك.

- في البداية أحب أن أقول إننا كانت لدينا الكثير من الأفكار

والطرق لتطوير هذا المشروع عن طريق عدة جهات طبية نفسية وأيضًا مطوّري ألعاب، لكن حديث جون الشغوف جدًا عن إمكانياتك جعلنا مهتمين بالسماع منك أولًا لكي نعرف إلى أي مدى يمكننا الاستفادة من تجاربك وأفكارك. دعني أعطِك فكرة رئيسية عن المشروع، النموذج الذي لدينا الآن هو أوّلِي وقيد التطوير، ولكن التطوير من الواضح سيأخذ وقتًا كبيرًا ليحاكي واقعًا حقيقيًا، هذه البيئة ستكون مغلقة، أي أن كل التطبيقات ستتم في غرف لأن التطبيق في عالم مفتوح لا يوجد سيرفر يمكنه احتماله، نحن نبني عالمًا من الصفر، لذلك لدينا في الفريق مهندسو عمارة وديكور وصوتيات وإضاءة وكل شيء لبناء غرف حقيقية بتفاصيل حقيقية، ومصممون محترفون للشخصيات والملابس، لهذا يجب أن تكون الفكرة محدودة وواقعية، في نفس الوقت تطلعات الجمهور المستهدف كبيرة، نحن نريد تجربة فريدة ومثيرة ومختلفة عن ما شاهدوه من قبل، نريد استغلال إمكانيات التطبيق أقصى استغلال، سنقوم بتجربة محدودة في مصر، ولكن الإطلاق سيكون في السعودية، وتجربة مصر هي ما نريد مساعدتك بها.

- سأقوم بالمساعدة في شقين؛ الأول: الخاص بأي تصاريح طبية خاصة بالتجربة في حالة الحاجة لها، أيضًا الإشراف الطبي على حالة المتطوعين للتجربة قبل وأثناء التجربة، وتوفير الطاقم الطبي؛ لأن التجربة تحتاج إلى قياسات لمعرفة حالة اللاعبين، أنت لا تريد ضحايا في أول تجربة للعبة لأن السكتة القلبية واردة جدًا في مثل تلك التجارب، أنا أحمل الماجستير في القياس والتقويم النفسي لهذا سأكون مثاليًا في مثل تلك التجارب، ومن ناحية أخرى أنا أعمل في

واحدة من أكبر المستشفيات النفسية في مصر منذ أكثر من 15 عامًا ومررت بجميع الحالات النفسية ما بين مدمنين ومرضى نفسيين عاديين، كما أنني مشرف على قسم الحالات الخطرة ولدي خبرة واقعية وحقيقية في الألعاب النفسية والهلاوس، يمكنني المساعدة في تفاصيل المشروع ليكون واقعيًا.

يستمع آدم في اهتمام شديد، ثم يرد:

- هذا رائع جدًا، نحن نعقد اجتماعات ونستمع إلى كل الأفكار المتاحة ثم نعرضها على المُموّل وهو سوف يختار، وعرضنا عليه عدة أفكار صراحة، ولكن لم يدهشه شيء معين.

- وما نوعية العالم الذي يريده المُموّل؟

يبتسم آدم في تلك اللحظة وهو يتحدث:

- كما قُلت، سيتم تقديمه بمدينة ترفيهية من نوع معين بالرياض – السعودية، المُموّل يريد شيئًا مميزًا ومخيفًا، ولكن هو يريدها أفكارًا جديدة، في تعبيره يريد كوابيس، هل تعتقد أنك تمتلك أفكارًا جديدة؟

يبتسم مينا بعد سماعه لكلمة كوابيس التي كان له الحظ بلقاء سيدتها ويرد:

- ما رأيك بأن تكون كوابيس حقيقية لقاتل مسجون على قيد الحياة؟ هل هذه الجملة أكثر تشويقًا لك؟

- بالطبع، هذا يرفع من قيمة المحتوى كثيرا.

- إذن أنا أعرف شخصًا ما يعلم كل شيء عن الكوابيس.

***

- هل تعتقد أن الانتقام هو الحل؟

يقولها المهندس أيمن بشارة الأخ الأكبر لأحمد بعد عودة أحمد إلى بيت أهله في مصر الجديدة، جاء هذا السؤال بناء على ما رآه في عيون أخيه كل تلك الأيام الماضية، تتبّع تلك المشاعر تنهدر من عيون أحمد كل يوم، الغِل الذي يلمع والكراهية التي توهِّجه داخل كل خلية في مقلتي عينيه وكأنهما قطعة جمر دون أن يتكلم، فقرر طرح مخاوفه على المنضدة بدلًا من أن يغض بصره عن هذا المنكر وهو جالس مع أخيه السارح للنظر في فضاء شرفة منزلهم.

- أنا رجل فقد كل شيء، ليس لدي شيء آخر لكي أفكر فيه، لا شيء أمتلكه أو يصبِّرني، رأسي فارغة من كل شيء سوي صورتها، لا أعرف كيف أفعلها، ولكن أعرف أني بطريقة أو بأخرى ستكون هذه هي النهاية.

ثم يلتفت إلى أخيه ويستطرد:

- لن يُحكم عليها بشيء، لن تدخل قاعة المحكمة حتى، ستبقى في أمان في المستشفى تعامَل كالملكة بسبب نفوذ أهلها، وتتركني وحيدًا مع الألم. هل هذا هو العدل؟ هل تعتقد أنه يمكنني العيش هكذا؟

- لن يعيد لك شيئًا مما فقدته، بل سيحرقك وسيحرقك أكثر، إنك لن تستطيع الوصول إليها كما هو واضح.

- سيعيد لي عقلي وسيبرّد قلبي الذي احترق لأيام في التطلّع لأسرتي تنتهي وهي تشاهدنا في سعادة مريضة، هل شاهدت في التلفاز ما يفعله الإسرائيليون في الفلسطينيين كل يوم؟ إنهم يتلذذون مع كل قذيفة يطلقونها على أبرياء دون أي شعور بالذنب، وكل يوم شخص يفقد كامل أسرته وهو مكبل اليدين، هل عليه أن ينتظر العدالة في هذا العالم المريض الذي يشاهد باستمتاع؟ هل تستطيع لوم الفلسطينيين على رغبتهم في الانتقام؟ هل يمكنك أن تقول لأحدهم لماذا تفكر في الانتقام أو لماذا ستنتقم؟ هذه قضية منتهية بالنسبة لي مثلهم، فأينما ذهبوا كل ما سيتذكرونه هو اليوم الذي سيستطيعون رد الظلم والانتقام بأي شكل متاح لهم، أنا كذلك.

- أفهم التجربة التي مررت بها يا أحمد، ولكن ما تفكر به جنوني، وأول من سيخسر هو أنت، أنت أخي ولا أريد أن أشاهدك تتعذب، وأريد الأفضل لك، لا يمكنك العودة للماضي أو إصلاح ما دُمّر، ولكن لا تجعله يدمر ما هو قادم من عمر.

ينفعل أحمد في تحفُّظ لا يستطيع السيطرة عليه أمام أخيه الأكبر.

- هذا ما لا تفهمه، أنت لم تعش حياتي لكي تحكم، أنا ليس لدي أي شيء الآن، لا يوجد مستقبل، هل تعتقد أنه يمكنني أن أستكمل حياتي وأعمل وأتزوج مرة أخرى وأنتظر طفلًا جديدًا؟ هل تعتقد أنه يمكن تكرار الماضي بكل ما حملته من ذكريات؟ أنا انتهيت يا أيمن، انتهيت تمامًا وليس لدي أي شيء، لا مستقبل ولا أي شيء، ليس لدي سوى هدف واحد أعيش من أجله، وهو رؤيتها تتعذب وتموت، لا شيء آخر.

ثم تهبط دموع هاربة من سيطرته على نفسه وهو يستطرد:

- علي الأقل هذا أفضل من الاختيار الثاني الذي يدور في عقلي كل ليلة، أن أقتل نفسي وأنهي هذا الكابوس اليومي الذي وضعتني فيه بلا نهاية. هل تعرف أنها عندما شاهدتهما يموتان اتصلت بالشرطة لكي تأتي وتنقذني حتى لا أموت معهما وأظل فيما أنا عليه الآن، هي من صنعت الكابوس، وموتها هو نهايته الرسمية، ولا تتحدث معي في هذا الموضوع مرة أخرى، إن كنت أخي اتركني.

ويصمت قليلًا والدموع تنهمر بينما يصمت أخوه ويتوقف عن الكلام قبل أن يتابع أحمد:

- وإذا كنت تحبهما حقًا وتحبني أكثر كأخ وتريد سعادتي، ساعدني فيما هو قادم، لن أضعك في مأزق، ولكن قد أريد مساعدتك في شيء ما.

تتسع عيون أيمن في هدوء بينما يمسح أحمد دموعه وهو يفكر في شيء ما، شيء ما لم يكن ليفكر فيه أبدًا، ولكن أجبره كابوس نيفين على التفكير فيه، خطة قد تنهي هذا الكابوس أو قد تبدأ كابوسًا جديدًا.

***

يطرق الدكتور مينا مكتب مدير المستشفى الدكتور ممدوح بهجت ثم يفتح الباب ويدخل المكتب القديم الذي أُعيد دهانه عدة مرات، ولكن كل هذا الطلاء لم يُجدِ في إعادة هذه الحوائط للحياة وسط أثاث حكومي الطراز لا يمتلك أصالة ما هو قديم، بل قُبحه

يتمثل في وحدات الأدراج والدواليب المعدنية التي لا تجد اختيار الصحيح لألوانها ما بين درجات الرمادي إلى المكتب الخشبي الذي يشبه خشبة الموتى وعليها كومة من الأوراق وفي آخرها يجلس الدكتور ممدوح الذي لا تختلف هيئته عن باقي المكتب رغم مركزه العملي والطبي المرموق بوزنه الزائد ووجهه الغليظ بشعر أبيض ناعم وشارب كبير تتدرج فيه درجات الأسود والرمادي والأبيض ليشبه شاويشًا في أفلام الخمسينات.

- صباح الخير دكتور ممدوح.

- صباح الخير يا مينا، ما زلت منتظرًا تقرير نيفين جودة منك.

يجلس مينا أمامه ثم يتحدث:

- سوف أنتهي منه اليوم، جلست معها مرة أخرى اليوم.

يعتدل ممدوح وهو ينظر بتحفُّز شديد:

- وكيف هي الحالة؟

- المريضة تعاني من هلاوس شديدة، يبدو أنها حالة انفصام.

ينعقد حاجبا ممدوح في تساؤل شديد:

- لا يوجد أي شيء في تاريخها المرضي يشير إلى انفصام أو هلاوس، هذا شيء مريب، بالتأكيد هي تقوم بتمثيل هذه الحالة.

- حتى هذه اللحظة لا يمكنني تأكيد هذا، ولكن تلك هي الأعراض الظاهرة، لقد قُمنا بعمل عدة فحوصات أوضحت أن هناك شيئًا من الخلل في كيمياء المخ، سأبقيها تحت الملاحظة للتأكد من هذا.

- يجب عليك التأكد بشكل كامل، هناك اهتمام من الشرطة بهذه الحالة ويجب أن نكون في قمة الحذر في التقرير وفي قمة الدقة.

- بالطبع يا فندم، أنا أتفهّم حساسية الحالة وأتعامل معها بكامل الاهتمام اللازم لها.

يسكت مينا للحظات متأمِلًا الدكتور ممدوح الذي يبدو أنه استمع لما يريد أن يستمع إليه والتفت إلى الأوراق أمامه قبل أن يسأله:

- هل تواصل أحد من أهلها مع سيادتك للسؤال عنها وعن حالتها؟

يحاول أن يتحصّل على اهتمام ممدوح بهذا السؤال الذي بسببه يعاود نظره إلى مينا وهو يتحدث بدهشة:

- هذا ما يدهشني، توقعت أيّ ردّ فعل خصوصًا أنه لا يوجد أحد في المجال الطبي لا يعرف أسرتها، توقعت توصية أو سؤال بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حتى من أهلها، ولكن لا شيء، لا شيء نهائيًا، هل تواصل معك أحد أو حاول التواصل معك بصورة ما؟

بشكل تمثيلي بريء يرد مينا:

- نهائيًا يا دكتور، أنا توقعت ذلك من سيادتك ولهذا أسأل، وبالطبع إذا حاول أي أحد التواصل معي سأبلغ سيادتك على الفور، أنت تعرف أنني لا أستطيع التحرك خطوة واحدة دون أن أرفعها لسيادتك.

- أعرف هذا يا مينا، أنت تعرف حجم ثقتي فيك ومهاراتك وخبرتك.

كان مينا يعرف أن الدكتور ممدوح لا يشغل باله كثيرًا بالمستشفى، كل ما يريده أن يمر كل شيء بسلام دون مشاكل، وأكثر شيء يكرهه هو الضوضاء، إلى جانب حبه في التفخيم، وهو ما يقوم به مينا دائمًا كلما أتيحت له الفرصة، لهذا يفضِّله الدكتور ممدوح عن الكثيرين. مينا ذكي للغاية ويمتلك المهارات اللازمة للتسلُّق الوظيفي من أجل تحقيق أهدافه، بل يمتلك سلطة وقوة كبيرة بالمستشفى، بجانب ذلك يضع مصاريف تسويق شهرية في صورة هدايا للممرضين وبعض العاملين لكي يحتفظ بمكانته، قد تقول إنها مصاريف إلزامية لتمرير تجارته السوداء في الأساس، جزء منها هدية ثانوية لمدير المستشفى الذي لا يحتاجها كهدية، ولكن لقيمتها من موظف لديه يمجِّده ويسمع الكلام ويهرع لمساعدته كلما حانت الفرصة،

يقف مينا متأهبًا للرحيل قبل أن يقول للدكتور ممدوح:

- سوف أتابع الحالة عن كثب، وقد أبدأ في بعض العقاقير العلاجية للوقوف على التقرير الأخير في أقرب وقت ممكن.

- شكرًا يا مينا، أنا أثق بك كما تعلم.

- وأنا أسعى دائمًا لكي تبقى ثقتك في أعلى درجاتها يا سيدي.

ثم يترك المكتب وفي رأسه عدة سيناريوهات للخطوة القادمة، والتي قد تكون هامة في تاريخه.

الفصل الثالث: وصفة لعلاج الانتقام

(النجاح ليس لمن يأخذ الحياة بجدّيّة، بل يأخذ الموت بجدّيّة)

*

يجلس مينا على المقعد المعتاد في غرفة نيفين منتظر أن تعتدل في فراشها كالعادة، أو على أمل أن يتطور المشهد وتجلس على المقعد أمامه كما حدث المرة السابقة، يشعر بالإثارة منذ المرة الأخيرة. سيدة الكوابيس هو اسمها الجديد في رأسه، هي من أطلقت على نفسها كذلك وهو لقب مستحق بالنظر إلى جريمتها المعلَنة والإشارة إلى جرائم أخرى هي ذكرتها دون تفاصيل إلى جانب حديثها القصير والثري بغطرسة ونرجسية مع ذكاء شديد يرشحونها كقوة وكمصدر للخوف وقدرة غير عادية على تصميم الرعب للأبرياء وهذاما قرأه في جريمتها الاستثنائية، وهذا ما يريده، كابوس للبيع

- صباح الخير دكتورة نيفين.

الساعة العاشرة صباحًا، ليس مبكرًا لشخص مثلها ينام أغلب اليوم، لم ترد عليه، بل بقيت في فراشها، انتظرها لدقائق قبل أن تبدأ في الاعتدال والجلوس على الفراش في رتابة وهدوء، هي مستيقظة منذ فترة، ولكن لمريض اكتئاب مزمن من السهل الجلوس وحيدًا في الفراش لأيام. يكرر التحية:

- صباح الخير.

لا ترد، فيبتسم وهو يقول:

- لماذا تزوجت وأنتِ في النصف الثاني من الثلاثينات؟

هي شخصية جادة لا تحب المقدمات، فقرر التنازل عنها.

- لقد كان جيدًا في الفراش، وأنا كنت أفتقد ذلك لفترة طويلة من الزمن.

ردٌ مثير جدًا لشخص مثلها وفي مكانتها التي تجعلك تعتقد أنها ستكون متحفظة، ولكن من الواضح أنها تحاول اختباره وإثارة تحفُّظه، ترسم تلك الابتسامة المريضة على وجهها وهي تستطرد:

- الرد أعجبك بالطبع، كل الرجال نفس الحال، يعشقون عندما تتحدث امرأة عن الجنس، هذا ما يحبون أن يتابعوه على الإنستغرام.

- تعجبت فقط منه.

- هل تحب أن أحكي لك تفاصيل، أنا لا أمانع على الإطلاق.

- أشكرك على صراحتك، لكن لا، لا أريد الحديث عن هذا الموضوع.

- لماذا؟ هل أنت متزوج يا مينا؟

- لا.

- غريبة، هل أنت شاذ إذن وتخبئ ذلك؟

يستجمع نفسه حتى لا يكون حازمًا ويبتسم ابتسامة صفراء:

- لا أيضًا، فقط لا أهتم بالزواج.

- هل تعرف أن الإنسان لا يعرف ميوله الجنسية إلا بالتجربة؟ هذا

شيء أستطيع تأكيده لك عن تجربة.

يصمت لثوانٍ قبل أن يرد وهو يجاريها:

- وماذا اكتشفت أنت؟

- أنني لست من المعجبين بالجنس، شيء واحد يعجبني فيه.

- وهو؟

- رؤية معاناة الآخرين، الألم هو ما يجعل تلك التجارب ذات قيمة، غير ذلك هو ملل.

يبتسم وهو يرد في تحفُّز:

- هذا ما أريد أن أتحدث فيه، احكي لي عن رؤيتك لمعاناة الآخرين، دعيني أقتبس منك وأقول، كيف صنعتِ كوابيس للآخرين؟

ترتعش وجنتاها ما بين البسمة والتوتر قبل أن تستعيد هدوءها:

- عليك أن تعيش كابوسًا عظيمًا لتتعلم كيف تصنع للأخرين، البعض يدخل الكوابيس ويعيش بها طوال عمره دون أن يتعلم منها شيئًا، آخرون يخرجون منها أيضًا دون تعلُّم فيجدهم الكابوس مرة أخرى دون عناء، لكن عندما تتعلم صناعتها للأخرين تكون بالنسبة لك حلمًا جميلًا مقصورًا على مسرح عذاب الآخرين، هكذا تكون السعادة التي عشتها حتى اكتفيت منها، الآن أستريح من كل هذا.

سعادة بالغة تغمر مينا داخليًا، أولًا: لأنه يشعر أنه سيصل لمبتغاه، وثانيًا: أنه لم يرَ مريضًا في تاريخه يمكنه تحليل نفسه والحديث عن أفكاره بهذه الصراحة، حتى إن كانت مخيفة وتثير الاشمئزاز، طبيب

الجراحة لا يخاف مشهد البشرة المقطوعة والأعضاء المشرّحة والدم والجثث، وطبيب الأمراض النفسية لا يهاب المشاعر العارية حتى وان كانت قمة القُبح والظلمة.

- إذن احكي لي منذ البداية كيف كانت بدايتك مع الكابوس؟

تبتسم له ابتسامة تترك نفس التأثير المقزِّز في نفسه.

- ما المقابل إذن؟

يرد لها الابتسامة بهدوء:

- كنت أعرف أنك ستطلبين هذا، ولدي المقابل جاهز.

- ما هو؟

- أضمن لك البقاء في المستشفى أطول فترة ممكنة، كلما حكيت لي قصصك مع الكوابيس تبتعدين عن حبل المشنقة الذي ينتظرك خارج هذه الجدران.

تصمت قليلًا ثم تتحدث:

- ليس كافيًا بالنسبة لي، هناك شيء يجب أن تقدّمه أكثر.

- أكثر من حياتك!

- بالطبع، يجب أن يكون هناك حافز .

- هذا أكثر ما أستطيع أن أقدّمه لكِ، لا شيء آخر

- بل ستقدّم، حتى أعطيك ما تريد، وأكثر.

يصمت للحظات وهو ينظر لها بتوتر:

- ماذا تريدين

تنظر للسقف لثوانٍ قبل أن تقوم من الفراش وتتجه له في هدوء وترفع ملابسها كاشفة عن ساقها وهي تقول:

- قبلة صغيرة على قدمي، شيءٌ صغير لن يتسبب لك بأي أذى.

- وإذا رفضت؟!

تعيد قدمها إلى وضعها السابق وتعود إلى الفراش وتجلس عليه وتسند ذقنها بكفيها وتقول:

- إذن أنا منتظرة هذا الحبل الذي تحدثت عنه.

- لا يمكنني عمل ذلك.

تصمت لثوانٍ قبل أن تنام على الفراش وهي تقول:

- إذن سأنام الآن وأنتظر؛ الحبل أو شفتيك.

تغطي نفسها وتعود إلى وضع النوم كما كانت في أول اللقاء، يجلس لدقيقة قبل يقف ويغادر الغرفة في هدوء ووجهه يعتليه شيء من الاحمرار في غضب، لم يكن عليه كشف كل أوراقه كالأبله، كان عليه أن يلاعبها ويتوقع سيناريو مريض مثلها، ولكنه الآن يجب أن يفكر فيما سيفعله لكي يعود للعبة مرة أخرى ويستخرج منها اللعبة التي يريدها وهو يكرر داخل نفسه: تحتاج للعبة كي تكسب لعبة جديدة، كما احتاجت هي كابوسًا لتصنع آخر.

***

يفتح الدكتور مينا باب منزله وعندما يصدر صريره المعتاد من مفصلات الباب عند زاوية معينة يسمع صوت حركة سريعة صادر من غرفة أخيه جون الذي يخرج من باب غرفته مسرعًا وابتسامة كبيرة تعلو وجهه وهو يشير إلى مينا ليتبعه، يغلق مينا الباب بسرعة ويلحقه ويلمح بعينيه طردًا كبيرًا ممزقًا وملقًى على الأرض وجون يقف بشغف جعل اللعاب يسيل من شفتيه وهو يمسك بشيء ما على كرسيه بكلتا يديه ويقول لمينا:

- هل أنت جاهز للمستقبل؟

يرفعها عاليًا كأنها كأس مُنح له عن جدارة، لم تكن نظارة، بل تشبه خوذة سائقي الدراجات النارية، سوداء اللون، ولكنها كشاشة، هناك كلمات ورسومات إليكترونية تدور خارجها، يضعها جون على رأسه فتتحول كلها إلى اللون الأخضر وكلمة "GO" تضيء بالأبيض كأنها لوحة إعلانات وهو يقفز كطفل صغير، تغطي الوجه بالكامل عدا الفم وفتحتي الأنف بحد أقصى، يخلعها ويدعو مينا للجلوس على كرسيه.

- خذ نفسًا عميقًا قبل الغوص في العالم الجديد.

يرتدي مينا خوذة المستقبل، ثم يضع أخوه في يده جهازًا كذراع تحكُّم الأجهزة الإلكترونية ويضغط على زِر فتظهر كلمة تطابق لمدة ثوان، ثم تحميل، ثم تبدأ اللعبة.

غرفة كبيرة كأنها بهو بفندق، باستخدام ذراع التحكم يسير مينا، كان مندهشًا لأنه لأول مرة يرى العالم بمثل هذه الجودة في الألوان والصور، وكأن نظره أصبح كاميرا عالية الدقة، إنها غرفة حقيقية

وكأنه سوف يلمسها، بأنوار قوية تجعل كل شيء واضحًا كالشمس، شعر بالرعب لأنه شعر وكأنه في رأس شخص آخر ويتحكم فيه، يستطيع سماع صوت قدميه على السجاد واختلاف الصوت عندما وضع قدمه على السيراميك، ولكن الأكثر رعبًا هو أنه وجد مرآة كبيرة، وعندما اقترب منها ونظر داخلها وجد أن الشخص في اللعبة هو صورته بأعلى جودة ممكنة، لدرجة أن للحظات عقله لم يستوعب الفارق ما بين الخيال والحقيقة. تجمّد مكانه وهو ينظر إلى ملامحه، ثم خلع الخوذة في هلع ليسمع ضحكة جون وهو يقول:

- إنها المرايا أليس كذلك؟ أصابتني نفس نوبة الهلع، الخوذة تطابق وجهك في البداية لتجعلك أنت اللاعب، اعتقدت أنني عندما أنظر في المرايا لن أجد شيئًا، إنه شيء مذهل.

- وانا اعتقدت ذلك أيضًا، ولكنه ليس مذهلًا بقدر ما هو مرعب.

يأخذ جون الخوذة منه وهو يضحك:

- تماسك، تلك فقط البداية.

يأخذ مينا نفسَه لدقيقتين وأخوه يغلق الخوذة ويضعها في علبتها قبل أن يهدأ، وبعدها ينظر لجون نظرة ذات مغزى ويقول له في هدوء شديد وصارم:

- أنا أعلم.

تتغير ملامح وجه جون:

- تعلم ماذا؟

- هذه الخوذة وهذا التطبيق غير قانونيين ولم يصرّح باستخدامهما في أوروبا.

- وما الذي يجعلك تقول ذلك؟

يشير مينا إلى ساعته الذكية:

- الساعة أصدرت إنذارًا لارتفاع دقات القلب ارتفاعًا يفوق ممارسة الركض لفترة، لا يوجد شخص سيوافق على أن يحدث هذا لشخص جالس على مكتب أو يقف في غرفة مرتديًا هذا الهراء، اعترف يا جون.

- أنا لم أقل أنهما قانونيان، ولا كل ما أفعله قانوني في الغالب وهذا طبيعي، هل تعتقد أني سأخاف أو أكذب؟

- بالطبع لا يا جون، ولكن يجب أن تجعلني على علم بكل شيء حتى أعرف أبعاد ما نصنع.

يجلس جون ويضع ركبته على الأخرى ويتحدث بانفعال:

- أنت تعرف أني قديم في هذه الشركة وهم يثقون فيّ ثقة عمياء، هذا المشروع على مسؤوليتي كاملة أنا من أوفر الموارد وكل شيء له، وإذا نجح سوف أكسب مبلغًا من المال يجعلني أعتزل العمل إذا أردت، وأنت جزء من هذا المشروع وستجعله ينجح معي لأنك تريد الكثير من المال أيضًا، وما أريده منك ليس بمعضلة وأنت نفسك تشجعت له,

- وسأنفذ الجزء الخاص بي، لا تقلق.

- حتى الآن لم أرَ شيئًا يا مينا، وإذا لم تزد عليّ باسكريبت كامل لكابوس استثنائي في ظرف 48 ساعة، في الغالب سوف نرشّح شخصًا آخر، لدينا كاتب روايات رعب ومخرج، هذه فرصتك الأخيرة.

يبتلع مينا ريقه بصعوبة، وهو يرد:

- لا تقلق، غدًا بحد أقصى سيصبح كل شيء جاهزًا.

يعتدل جون وهو يشير لمينا:

- إذا تمت الموافقة عليها فستحصل على 2000 دولار للفكرة، أليس هذا كافيًا لتحرق نفسك؟

- كل شيء سيكون جاهزًا ليل غد.

- أعرف أنك لن تخذلني، وإلا سأجعلك تعمل في التطبيق الخاص بأوربا الشرقية.

- وما تطبيق أوربا الشرقية هذا؟

- ألعاب للبالغين.

يضحك جون ويكسر توتر مينا الذي يضحك هو الآخر وداخله يعلم أنه يجب أن يتنازل قليلًا، ثم قليلًا،

ثم قليلًا.

***

كان صباح اليوم التالي قاسيًا على مينا الذي كان يعرف أنه مقبل على تنازلٍ ما لم يُجبر عليه من قبل، كان محظوظًا على الكثير من

الجوانب التي لم تضعه من قبل في أي نوع من التنازلات، بل إنه كان محظوظًا لدرجة أن حتى معاركه وخصوماته لم تُفرض عليه وكان من السهل تجنُّبها، لكن تلك المرة قد تكون صعبة، هو لا يدري كيف سيمر هذا اللقاء، ولكنه ظل يذكّر نفسه بتلك القاعدة الذهبية لكل الماديين "عندما نصل إلى المحطة المنشودة، سننسى الطريق" أي أن مهما كانت تكلفة التنازل، عندما يجد المال في يده سينسى كل شيء.

ينادي شوقي الذي يدخل غرفة الأطباء بهيئته التي لا يفضّلها مينا على الإطلاق:

- سوف أدخل لحالة رقم 6ه الآن.

يبتسم شوقي ابتسامة مبالغ فيها وهو يرد:

- الدكتورة نيفين.

يرد مينا بحزم وصوت مرتفع بطبقة صوته المريبة:

- نعم، وكل مرة أدخل لها لا أريد أن يقترب أحد من الغرفة تمامًا، بما فيهم أنت، ولا أحد يزورها أو يدخل لها دون أن تقول لي، الكلام واضح يا بطاح.

تختفي الابتسامة ويعتدل شوقي في جدية:

- تمام يا دكتور.

مينا يعرف أنه إنسان خسيس، ولكن دائمًا ما تحتاج الخسيس جسرًا لعبور أي أزمات أخلاقية.

يسير حتى يدخل غرفتها كالعادة ويجلس على المقعد ذاته، بينما هي هذه المرة كانت جالسة على السرير تنظر إليه بابتسامة بشفاه باهتة ومريضة كعادتها، من خبرته في عمله اعتاد المرضى النفسيين بكل درجاتهم، ولكن نظرات نيفين مخيفة. بعد أن جلس بنصف دقيقة تقف هي وتتحرك ناحيته في هدوء، ثم تكشف قدمها وترفعها قليلا مثلما فعلت البارحة بالضبط في انتظار أن يقبّلها، لقد فهمت أنه يريد شيئًا ما منها غير ما يريده أي طبيب، ولهذا ستلعب به طالما الفرصة متاحة، ينظر إليها في ضيق شديد، بينما هي تحتفظ بنفس تلك الابتسامة المريضة، يقف ويحني ركبتيه لينزل بجسده إلى مستوي قدمها، ويمسك قدمها ويقبّلها فتدفعه بها بصورة مفاجئة وقوية، فيقع مينا على ظهره أرضًا في ذهول بينما تطلق هي ضحكة رنانة بقهقهة وتعود لتجلس على المقعد المقابل له، بينما يقف هو في غضب شديد ووجه أحمر ناري وعيون عصبية ويجلس على المقعد ويأخذ الملف الذي به التقارير وينظر إليها محاولا تشتيت رأسه عنها قبل أن يسمعها تتحدث:

- هل تعرف قصة جوزيف والذئب؟

يرد والغضب ما زال يحتل الجزء الأكبر من صوته:

- لا، لا أعرفها.

- جوزيف هذا كان يعيش في الصحراء ووجد ذئبًا شريدًا يموت من الجوع والعطش، فقرر جوزيف مساعدة الذئب، بالطبع انقض عليه الذئب ونهش ذراعه، ولكن جوزيف هرب منه ونجا، بعد ذلك تعلّم جوزيف أهم درس في حياته من الذئب.

- ألا يقترب منه مرة أخرى.

تنظر له بازدراء:

- ألا تقوده عواطفه مرة أخرى، بل عقله.

يصمت مينا لأنه شعر أن الغضب أثر على تفكيره فأصبح يرد دون تفكير، يتنفس بعمق في هدوء ليدخل الهواء داخله ويهبط بدرجة حرارته عدة درجات حتى يستطيع التفكير بهدوء والرد بتمعُن، يدخل الهواء ويشرب رشفة من زجاجة الماء الذي يحملها معه، ولكن لا شيء يُخفض حرارته داخله فيقرر التعامل بما هو عليه، ينظر إليها ويقول:

- ثم ماذا؟

- دائما ما نبدأ بحكاية جوزيف لأنها تشرح معضلة البشر، تلك القصة الجميع يسمعها، الجميع يفهمها، وفي النهاية الجميع يحاول أن يساعد الذئب.

تصمت قليلا وتتغير ملامح وجهها إلى الألوان الداكنة:

- كنت في الثالثة عشر من عمري، حين كان اللون الأبيض السخيف ما زال هو لون كل البشر في عينيك، كما تعرف أنا ولدت والملعقة الذهب في فمي، الحياة هادئة وكل شيء متاح وممكن وسهل ويبتسم، عدا أمي وعائلتها المعروفين بماديتهم الشديدة وقسوة القلب.

تختفي كل المشاعر السلبية من وجه مينا ويبدأ في تدوين ما تقول في اهتمام شديد وهو لا يقاطعها بل يسمعها في تركيز شديد.

- خالي فؤاد، الدكتور فؤاد الوصيف، خالي وأحد شركاء مجموعة المستشفيات، وأيضًا واحد من أهم منتجات عائلة والدتي عائلة الوصيف المصاب باضطراب الشخصية السادية، الجميع يعلم ذلك ويتقبلونه كما هو لأهميته لهم، عاش يدور حول العالم ثم عاد إلى القاهرة ليستقر ويدمر استقراري النفسي، كان شابًا وقتها في النصف الثاني من الثلاثينات، كانت بوادر مرضه في الصغر متطرفة كالتنمر وإحراج الآخرين وسط الحديث، وتطور الأمر إلى المقالب السخيفة وقتل القطط الصغيرة والتلذُّذ بتعذيب طيور الزينة، أحد ألعابه وأنا صغيرة معي لعبة ماء الأكسجين، كنت أعشق النوم أمام المسبح بقصر أبي، وكان يتسلل ويسكبه على شعري، فاضطررت لصبغه للأبيض والتعرُّض للتنمر في المدرسة لفترات طويلة في حياتي، ولم يعاتبه أحد على خلفية أن هذا هو فؤاد، لم يرَ أحد كيف يزحف الفساد في عقله ويغطي المساحة التي يتركها له الآخرون دون عقاب، أنا رأيتها عند وفاة جدي.

تلتقط كوب ماء من على المنضدة الصغيرة وتأخذ رشفة ثم تستطرد:

- كان في مزرعته في طريق مصر الإسكندرية الصحراوي، وقتها ذهب الجميع لدفن جدي، كنت أتمنى الذهاب معهم.

ثم صمتت لثوانٍ وكأنها تتذكر شيئًا وتقول وهي سارحة فيه:

- ولكنها التعليمات.

تلمع عينها وهي تبتسم وكأنها تحكي فيلمًا ممتعًا.

- وبقيت أنا وهو في المزرعة، ادّعى المرض الشديد حتى رحلوا، ثم رأيت لمعة عينيه تتغير لي مع غبار السيارات الراحلة، كل ما أعرفه أني هربت من الفيلا إلى الأرض الزراعية الملحقة بها، فظل يبحث عني وأنا مختبئة لأكثر من ساعة، هل تعرف كم الرعب الذي يدب في قلبك وأنت تهرب من شخص ما هو من دمك، ومحاولة السيطرة على صوت أنفاسك والاختباء؟ كل هذا وأنت طفل، كان يسير ويضحك ويقول لي: أنا أسمع دقات قلبك، أنا أسمع صوت أنفاسك، أنا أسمع صوت خوفك، أنا أعرف عنك كل شيء، كل شيء، بالطبع لم أحتمل الضغط، وبدلًا من الجلوس في سكون شرعت في العذو فلحق بي.

- وماذا فعل؟

قاطعها مينا بسؤال ندم عليه لأنه خرج منه تلقائيًا بدافع الشغف والتوتر، هي فهمت ذلك فردت في هدوء:

- قال لي إنه قابل صديقًا إيرانيًا قديمًا منذ فترة وحكى له عن سجن (إيفين) والتعذيب الأبيض، التعذيب الذي لا يترك أثرًا، وهذا جعل الأفكار تسطع في رأسه ويريد أن يجعل ما سمعه مرئيًا ملموسًا بتلذُّذ رهيب. اكتشفت أنني كنت غبية وأني لو ظللت في الفيلا المحاطة بكاميرات المراقبة لكان أفضل لي من الاختباء في الشمس الساطعة في الأرض الزراعية. المهم أنه حاول تكرارها مرة أخرى وفشل بعد ذلك، وهنا بدأت أحلم بسلسة الكوابيس، لم يحوّل ما فعله هو حياتي إلى جحيم بقدر ما فعل عقلي بي، كان من الممكن أن يكون عقلي مصممًا بطريقة أذكى أن يترك تلك الذكرى ويحاول أن

ينكرها أو أي شيء، ولكن عقلي الواعي اتفق مع عقلي الباطن على اتفاق ووقّعا سويًا تعاقدًا، وفهمت أنه لكي أهرب من تلك الكوابيس عليّ أن أنفّذ بنود هذا العقد، لم أفهم وقتها إذا كان هذا هو الحل أم ماذا، ولكنني رضخت في النهاية.

- ماذا فعلتِ؟

رشفة ماء أخرى والابتسامة العصبية ترتعش على وجنتيها وأطراف شفتيها:

- بعد عامين تقريبا سنحت نفس الفرصة، أنا وهو في المزرعة وحيدين، نزلت إلى الأرض ومشيت في هدوء، بالطبع تتبّعني هو، حتى وصلت إلى أطراف الأرض، واستفززته حتى اقترب مني، فدفعته بكل ما أملك من قوة حتى جثا على ركبتيه، وأخرجت مقصًا حديديًا خبّأته في ملابسي الداخلية وفقأت له عينيه الاثنتين وركضت بعيدًا ووقفت أشاهده يسير بدماء تنفجر من عينيه وصراخ وسبٌ ولعن لا ينتهوا في غضب، ليحين وقت المتعة، أخذت أناديه وأقول له: هل تسمعني؟ أنا هنا، هل تسمع صوت أنفاسي؟ هل تسمع صوت خوفي؟ يبدو أن الغضب الشديد والعمى أفقداه عقله، فصار يجري خلف صوتي كالمجنون، لا أعرف إذا كان يعرف أم لا أن هناك حفرة عميقة للصرف أو الري لا أعرف، ولكني وقفت أمامها وقلت له: "هل لا زلت تعرف عني كل شيء؟" فسقط، وتلك كانت آخر مرة رأيته فيها، ثم غدت إلى الفيلا مرة أخرى.

- وهل عثروا عليه؟

- بعد يوم أو أكثر، اكتشفوا جثته، لم يكن يتوقع أن هناك حفرة،

فأول ما لمس الأرض كانت رأسه فدُق عنقه ومات فورًا للأسف. قُلت إنني لم أره وصدقني الجميع بالرغم من عدم فهمهم ما الذي ذهب به إلى هناك، لم يفهم الجميع كيف مات، وأصبح لغزًا شديدًا لدرجة أنهم منعوا أي شخص من الوصول إلى آخر المزرعة حيث الحفرة، بعد ذلك علمت أنني نفّذت بنودي بالعقد مع الكابوس وانتهى، وصارت حياتي عادية حتى عاد الكابوس مرة أخرى في الحادثة التالية.

يقاطعها مينا بهدوء ويده ترتعش من الإثارة:

- هذا هو المهم لي، احكي لي بالتفاصيل عن الكابوس.

نظرت له نظرة ذات مغزى:

- إذن هذا هو ما تريد، ولم لا، سأحكي لك الكابوس تفصيلًا.

***

- فكرة رائعة يا دكتور

يقولها آدم خلف عبر شاشة الحاسب المحمول لجون موريس وهو يتحدث لمينا وهم يجلسون سويًا في اجتماع عبر الإنترنت بعد يومين من إرسال مينا لسيناريو اللعبة الأولى للبرنامج، كان عصبيًا في انتظار الرد وظل متوترًا بعد الجملة الأولى منتظرًا بقية حديث آدم:

- مكتوبة بتفاصيل كاملة كما نريد أن يكون الشكل النهائي، بعد أن قرأ كل منا الفكرة على حِدة تواصلت مع الفريق ولاقت إعجاب الجميع، وسنبدأ في تطويرها فورًا، هذا يعني أننا وثقنا بأفكارك.

- أنا سعيد جدًا بنجاح الكابوس الأول.

- يمكنك القول إنه نجح، أعتقد أن المموّل سيكون سعيد جدًا به أيضًا.

ويصمت ثواني ثم يستطرد:

- كابوس خام وفكرته قوية للغاية، بالنيابة عن أعضاء الفريق اشكر لي العقل الخرِب الذي أعطاك هذا السيناريو المظلم.

يبتسم مينا في هدوء مع جون:

- سيصله الشكر بالطبع.

- كما وعدنا سيكون هناك ثمنًا للسيناريو، ولكن سنؤجله حاليًا.

تختفي الابتسامة عن مينا، ولكن يبقي جون هادئًا وكأنه كان متوقعًا. يسأل مينا في انفعال:

- لماذا سيد آدم؟

يرفع آدم كفه في الشاشة وهو يتحدث:

- لا تقلق، سيصلك نصيبك كما هو الاتفاق مع جون، ولكن ننتظر السيناريو الثاني منك، إذا نجح سنزيد المكافاة، أما إذا لم يكن بقوة الأول ستأخذ نصيبك بالطبع، ولكن عدم استمرارية جودة الأفكار ستجعلنا نبحث عن مصدر آخر من قائمتنا، أتمنى أن تكون متفهمًا، هكذا هي الأعمال، كلٌ منا يبحث عن مصلحته 5000 دولار في الفكرة رقم كبير في مصر على ما أعرف.

ينفجر الغضب داخل مينا وهو يفكر في تفجير رأس أخيه الخائن،

ولكنه يحتفظ بهدوئه في وجود أفراد الشركة التي يعمل بها جون منعًا للفضيحة، يرد مينا:

- أتفهّم يا سيد آدم، السيناريو القادم سيكون جاهزًا في أقرب وقت ممكن.

- أتمنى ذلك، مع ذلك خذ وقتك، نحن سنقوم بتطوير السيناريو الأول في الفترة الحالية، أو كما تسميه أنت الكابوس الأول، نلتقي قريبًا مرة أخرى.

وينتهي الاجتماع فينظر مينا إلى جون في غضب شديد، فيرد جون:

- ثلاثة آلاف لك واثنان لي، هذا آخر كلام لدي فقط لأنك غاضب، غير ذلك كنت ستأخذ اثنين فقط.

- غشاش، ونصاب.

- أنا من أتيت لك بالفرصة وقمت بترتيب كل شيء، حتى السيناريو أنا من صاغه.

- لقد كتبت الفكرة مبسّطة على موقع ذكاء اصطناعي وهو صاغها لك، أنت لم تعرق حتى في شيء أو تنتظر لكتابة سيناريو.

يبتسم جون في هدوء

- المهم السيناريو القادم، المجد ينتظرنا يا مينا.

يظهر على مينا الانفعال بعد سماع كلمة القادم، لأن القادم قد يكون أصعب في معرفة كابوس من شخص سادي ومجنون مثل نيفين،

ولكنه مبدع ومصدر جيد لأفكار تصلح للبيع، وكما يعلم الجميع ويعرف مينا أن لكل شيء ثمنًا.

***

هناك ارتباط شديد بين الرومانسية والطيران، كلما كان المكان الذي تجمّع فيه الأحباب عاليًا كلما انغمسوا أكثر في الكلمات والمشاعر، وكأن مستوى الأرض هو صفر والمشاعر تحتاج للصعود عاليًا حتى تبتعد عن واقعية الأرض وتصبح الأكاذيب عسلًا والتملق قشطة يختلطان معًا ليكوّنًا مزيجًا يذيب العقل الجامد، لهذا اختار أحمد المقطم للقاء مع نيفين بعد عدة لقاءات سابقة أغلبها اتسم بالرسمية وواحد فيها أعلن لها عن إعجابه بالإضافة إلى عدة رسائل تليفونية يحاول فيها أن يجعلها تلين لفكرة الارتباط، كان يعرف سمعتها كونها مختلفة وانطوائية وهذا يجعلها صيدًا سهلًا، فهو يعرف من خبرته بالبشر أن الانطوائي يمتلك الكثير من المشاهد المكبوتة، دفعة واحدة وينفجر كل هذا الضغط الداخلي وتنهار كل الأسوار ويصبح مفتوحًا لكل الغزاة، كان يعرف كل هذا عن البشر، ولكنه لم يكن يعرف نيفين.

- اختيار جيد يا باشمهندس أحمد.

- شكرًا يا دكتورة.

- هل تأتي بكل ضحاياك إلى نفس المكان؟

- لا عادة، سيجعل من السهل على الشرطة تتبُّعي حينها.

تبتسم ابتسامة خفيفة دون مشاعر وهو يجلس معها في الكافية

وأمامهما فناجين من القهوة التركي وزجاجات ماء صغيرة، وهي مشروبات لا تناسب نوعية اللقاء. هي جاءت بناء على طلبه وحتى تجد نهاية لقصة اقترابه منها، يتحدث هو لها بابتسامة كبيرة خادعة:

- ما أقصى ما يمكن أن يحدث؟

- في ماذا بالضبط؟

- إذا تركتِ نفسك للارتباط بشخص ما، دعيني أُخرِج نفسي من المعادلة وأقول لك ماذا سيحدث إذا تركتِ قلبك خارج القفص الحديدي.

تصمت وتفكر لثوانٍ، ثم ترد وحاجباها منعقدان في دهشة:

- سيتحطم بالتأكيد مثل أي شخص آخر.

- هل سمعت عن شخص مات أو حتى أُصيب بالإسهال لأن قلبه تحطم مثلًا؟ بالطبع لا، ولكن السؤال لماذا تحطم قلبه؟ لأنه كان يحب وانتهى الحب، ولكنه ما زال حيًا، وهذا يعني أنه يمكنه أن يحب مرة أخرى.

تقاطعه بنفس الدهشة:

- ويتحطم مرة أخرى، ما الذي يجعلني أو أي شخص يدخل تلك المعضلة بدلًا من الحياة وحيدًا دون عناء وبراحة بال، لماذا تلك الحماقة من البداية؟

- وهنا لُب الموضوع، أهنئك يا دكتورة لوصولك لقلب القصة.

يجبرها على الابتسام وهي ترد:

- أنت ترد كبائع متجوّل، هذا الكليشي أحفظه عن ظهر قلب.

- للأسف هذا عملي، يمكنك أن تقولي إنها واجبات الوظيفة.

ويضحك هو الآخر ويستطرد:

- لكن الحقيقة لا شيء في الكون يقول إن على الإنسان أن يعيش وحيدًا دون حب، راحة البال هذه ليست استغناء، ولكنها شعور زائف بعزة النفس التي لم يُصبها حظ الحب أو الارتباط، أو نوع من الجبن عندما يمر الشخص بتجربة حب لم تنجح، كلاهما ينتهيان بنفس النتيجة، راحة البال أهم من الحب كما يقول الجميع، بينما هم من داخلهم يتمنون الحب الحقيقي كأي إنسان على وجه الأرض، تلك هي الحقيقة.

شيء من المنطق في كلامه كان كافيًا أن يجعلها تفكر، وأن تفكر يعني أن تضع احتمالية أن تؤمن بالفكرة، وإذا آمنت انتهت.

- كلام عام ومرسل، لكن الواقع مختلف.

يضع مرفقه على المنضدة ويريح ذقنه على كفه وهو ينظر إليها بأداء تمثيلي:

- لنجعله خاصًا، ما الذي يجعلك ترفضين الارتباط بي أنا المهندس أحمد بشارة.

تتعجب من جراءته واقتحامه خصوصيتها، هي تعلم أن كل رجال البيع يعتمدون على نفس مهارات النصابين في البيع.

- أنا لا أريد الارتباط عمومًا، لا أنت ولا غيرك.

- إذن أنت تختارين أن تذهبي إلى المستشفى في روتين يومي، وتعودين إلى شقتك الخاصة التي تعيشين بها وحيدة للأبد، كل يوم وكأنك تنتظرين النهاية في خنوع، عن الحصول على عدة أيام مع شاب وسيم مثلي في الجونة ومنها إلى رفيق يومي في المنزل يسألك أين ذهبتِ وماذا ستطبخين اليوم، ثم يكره هذا السؤال بعد ذلك ويكره طبخك الذي بالتأكيد سيكون سيئًا بالنظر إلى كونك دكتورة، ثم تبدأ أيام من الخلافات والتصالح وتظل الحياة مليئة بالإثارة من أعلى لأسفل ثم لأعلى ثم إلى الأسفل، أيهما أفضل؟!

تبتسم من طريقته في شرح الفارق بين الوحدة والزواج، يجعلها تفكر بينما يقاطعها بالسؤال الأهم في هذا اللقاء:

- صراحة، لا أجد لكِ عذرًا في رفض الارتباط بي، ما أسوأ ما قد يحدث بيننا؟ لا يمكنني تخيُّل أسوأ سيناريو بيننا سوى وداع من الطرفين وكل منا يذهب إلى طريقه وهذا في حالة حدوثه، فكري معي بصراحة، ما أسوأ ما قد يحدث بيننا عند الفراق؟

***

- لا يمكنك لمجرد ادّعاء المرض أن تدخل المستشفى، وفي حالة دخولك ستكون في عنبر الرجال وهي في عنبر السيدات، ومستشفى الأمراض النفسية من أكثر الوحدات المعدّة أمنيًا نظرًا لطبيعة المرضى، فكيف تعتقد أنه يمكنك تجاوز هذا كله والوصول إليها، هذا ضرب من الجنون.

يقولها أيمن الأخ الأكبر لأحمد بشارة في منزل والديهما بانفعال وهو يرد على فكرة أخيه في الوصول إلى نيفين، أيمن لا يريد

مساعدة أخيه ولا المشاركة في هذا المخطط غير العقلاني، ولكن لأن أخاه في محنة ويجب أن يسانده، بجانب أنه إذا استطاع إثبات استحالة كل الخطط الممكنة في رأس أحمد قد يفقد الأمل في الانتقام، على جانب آخر لا يمكنه إغفال تهديد أحمد في التفكير في الانتحار والذي ذكره أمامه صراحة. بين نارين يعيش أيمن، بالنسبة لأحمد بشارة ففراشه في قلب النار ينام ويصحو عليه وكأن العالم يقف على هدف واحد، ولا شيء آخر .

- دخولي المستشفى على الأقل يعطيني الفرصة لدراستها وفهم ما فيها والطريقة الأفضل للوصول لها.

- هذا لو كان مستشفى عاديًا، ولكنه مستشفى للمجانين، ويجب الفصل بين درجات الجنون حتى يتم السيطرة عليهم، وأنت لا تعرف أي مجموعة سيتم وضعك معها، هذه ليست لعبة جاسوسية وأنت لست جيمس بوند، تلك الخطة لن تفلح.

يصمت أحمد قليلًا قبل أن يتحدث في عصبية:

- هل عرفت أي شخص هناك يستطيع مساعدتنا؟

- لا، حتى أنني فكرت في الدخول كشركة صيانة، ولكن تلك منشأة حكومية وكل مجالات الصيانة يتم تغطيتها بأفراد معينة من الوزارة، هذا يعني أننا لا نستطيع الدخول للمستشفى دون وساطة، أي شيء آخر مستحيل.

- لهذا قلت فكرة الدخول كمريض.

- وأنا قلت لك يا أحمد إنها لن تفلح أيضًا.

ينفعل أحمد في تلك اللحظة في غضب:

- إذن كيف يمكننا الدخول لتلك العاهرة، اقترح فكرة ما بدل إحباط كل مخططاتي.

يرد أيمن بغضب وصوت أعلى:

- أنا لا أحبط أحدًا، أنا أواجهك بالحقيقة التي يجب أن تعرفها، الموضوع ليس توفير تذكرة لدخول الملاهي ولا يشبه ذهابك هناك للمرح، أنت تريد دخول مؤسسة حكومية تحت حماية أمنية مشدّدة لقتل شخص موجود هناك تحت حراسة أمنية، أنت من يجب أن يكون أكثر عقلانية في اختيار معاركك وإلا ستنهي بقية حياتك في السجن ولن تطول انتقامك الأحمق ولن تستكمل حياتك، أنا مجبر على مجاراتك في كل هذا وأنا غير مقتنع بالمرة، فعندما أقول لك إن هناك اختيارًا غير صحيح عليك أن تصدقني وتبحث عن حل آخر أو لتصمت، أو تذهب بعيدًا وتنفّذ ما في رأسك دون العودة إليّ أو مشاركتي في كل هذا الهراء، أنا رجل لدي مركزي وما تفعله يهددني في الأساس.

يصمت كلاهما بعد تلك الجملة الغاضبة من أيمن، أحمد يعلم أنه يلقي بحِمل على أخيه الأكبر ليس عليه تحمّله، ولكن أحمد ليس لديه من يشاركه تلك اللحظات، فتلقائيًا يلقي به على أول من يستطيع مساعدته، يعلم من داخله أن الذي يفكر فيه قد يؤذي من يشاركه، ولكن هذا ليس في قائمة أولوياته الحالية؛ فكل ما في عينيه جثث أغلى ما امتلك، ولن يمحو تلك الصورة إلا صورة جثة أخرى.

- لقد فهمتك، إذن نبحث عن فكرة أخرى.

يقولها في هدوء حتى يحتوي أخاه الأكبر ولا يدع له فرصة للهرب من الموقف وقلْب الطاولة عليه، بل الغرض هو الإبقاء عليه بجانبه حتى يساعده فيما يريد، من ناحية أخرى أيمن يعرف ذلك، ولكن رابط الأخوّة الأحمق يجعله مضطرًا لما يمكن أن يسميه الحمقى الوقوف بجانب أخيه في تلك اللحظات المزيفة، فلا قيمة أبدًا للوقوف في الباطل.

وهكذا يشبك الناس مصيرهم ببعض، وعندما يفسد كل شيء يلقونها على القدر البريء من تخطيط السوء، ولكن أيمن فهم ما يدور في عقل أخيه، وقرر أن يحل ما يربط.

- أحمد، أنا أرى أن تنسى فكرة هذا الانتقام، لا أعرف كيف لا تستطيع أن ترى كل ما نفكر به مخاطرة وأي خطأ قد يكلفنا أن ندخل سويًا السجن؟!

- ماذا تقول يا أيمن، ماذا تقول؟

- أقول لك ما كان يجب أن أقوله، يجب أن تنسى هذا الانتقام، أنت لا تعرف ما تفعل وتفكر بهوَس، كل الأفكار فاشلة، نحن لا نعرف أين هي في المستشفى، ولا نعرف أين هذه المستشفى حتى، ولا نعرف أحدًا بها كي يساعدنا أو يُدخلنا إليها، إلى جانب أن كل هذه الأفكار ستؤدي بنا سويًا إلى المساءلة القانونية ووقتها ستضحك عليك هي مرة أخرى.

تشتعل نيران في عيون أحمد عندما سمع آخر جملة، قام من على مقعده وتقدّم ناحية أخيه الذي وقف هو الآخر متأهبًا لأي حماقة من

أخيه الذي يسيطر على نفسه في اللحظة الأخيرة، يلتقط أحمد نفسه عدة مرات قبل أن يرد بشفتيه وأسنانه طابقه على بعضها البعض تمتص غضبه:

- هي لن تضحك عليّ مرة أخرى، هي لن تضحك مرة أخرى ، أعدك بذلك.

ثم يصمت للحظات ويدق بأصبعيه السبابة والوسطة على صدر أخيه ويستطرد:

- أنت لست أخي من الآن، ولا أريد منك أي شيء، اخرج من المنزل حالًا قبل أن أضعك في صفِّها

يبتلع أيمن ريقه ويغادر في هدوء بينما يتخبط أحمد في طريقه إلى المقعد مرة أخرى، يجلس ويفتح الهاتف وينظر إلى صورة ابنه في الخلفية فيعتصر قلبه حزنًا في كل مرة ينظر إليها وكأنه يستخدمها كأداة يؤجج بها نار الانتقام داخله، وقبل أن ينسى كل ما حدث الآن تذكّر شيئًا واحدًا ذكره أخوه، موقع المستشفى، وهنا لمع في رأسه سؤال:

لماذا لا يزور المستشفى؟

***

الفصل الرابع: أنياب الأمل

(لا تَخَفْ مِنَ اليأسِ، بَلْ اخذَرْ مِنَ الأمل الذي يَسكُنُ قَلبَ تائه)

*

- جئت للكابوس الجديد دكتور مينا.

يأتي صوت نيفين من تحت الغطاء وهي نائمة في الفراش عندما تسمع صوت باب غرفتها مصاحب لخطواته المتكرّر وقوعها على أرضية غرفتها حتى أصبحت نغمة تحفظها هي عن ظهر قلب، لا يشعر مينا بالمفاجأة لأنه أصبح يعرف مع من يتعامل، ماذا حدث لها وماذا فعلت، بل إنه كتب في آخر تقرير أن نيفين شديدة الخطورة على نفسها وعلى الآخرين ليس لغرض إبقائها كما وعدها، وليس أيضًا بدافع شعور لحظي بمسؤولية أو مهنية أو حتى الضمير، بل بدافع خوف، خوف أن يصبح مدينًا للحقيقة دينًا لا يستطيع ردّه فتعود الحقيقة يومًا ما لتنتقم وتحصّل ما لها منه.

جلس على المقعد في هدوء كعادته:

- صباح الخير دكتورة نيفين.

تقوم بردّ الروتينية في أدائه بروتين آخر، وهو الجلوس على الفراش كعادتها والنظر إليه نفس النظرة والابتسامة،

- صباح النور، هل ترغب في سماع اعترافاتي وكوابيسي.

- بالطبع أرغب.

تتسع ابتسامتها بلمعة جنون في عينيها:

- إذن أن تعرف كالجميع أن لكل شيء مقابلًا.

لم يستطع السيطرة على توتره في تلك اللحظة، ولكنه بقي هادئًا ينظر للأوراق في هدوء، هي حجته لكي يتحاشى النظر في عينيها والبقاء على اتصال بجنونها، هو يعلم أن التمعُّن في عيون هذا النوع من الجنون قد يكون مُعديًا في بعض الحالات، لم ينظر إليها رغم سماعه لها تنزل من على الفراش وتسير بخطوات هادئة ناحيته وتقف أمامه، لم يكن يعرف ماذا ستعرض أن يفعل تلك المرة، ولكنه يعرف أنه شيء مهين وقد لا يقبل أن يفعله تلك المرة، بل سينتظر ليؤهل نفسه للمرة القادمة مثل ما حدث المرة السابقة.

المشكلة الأكبر أنها أيضًا كانت تعرف ذلك، فعندما التفت برأسه لها ليستمع للطلب الجديد وهو يجلس بقدم على قدم ويمسك بالأوراق، بصقت نيفين في كف يدها الأيمن ثم صفعته بغتة صفعة أوقعته من على الكرسي لولا حركة كفه السريعة للاستناد على الأرض بدفعة شديدة ليعود إلى وضعه الأصلي في غضب شديد يجعله ينتفض ليقف على قدميه وهو ينظر إليها ويلقي بما في يده من أوراق على الأرض، بينما تقفز هي إلى الوراء ثم تقفز مرة أخرى لتقف على الفراش وتضحك بشكل مستفز ومهين وهي تنظر إليه وهو يضغط على مكابح نفسه بكل عزمه حتى لا يقتلها، بينما هي تقفز على الفراش كالأطفال في مرح شديد وهي تضحك، ثم تنزل من على الفراش في هدوء وهي تنظر إليه وهو لا يزال تحت تأثير الصدمة والصمود، وتجلس على المقعد في هدوء وتسترد في ثواني الوجه الآخر لها، تلك النسخة المرعبة، يظل واقفًا فتتحدث هي:

- إذا عرضت عليك فعل هذا بالطبع كنت سترفض، وقتها أنت لن تحصل على قصتك ولن تعرف باقي الكابوس وأنا لن أحصل على متعتي وسأذهب إلى حبل المشنقة، لكن انظر الآن، أنا حصلت على ما أريد. والآن اجلس لكي أعطيك ما تريد وأسدّد ديني لك.

كان بداخله يغلي من الكراهية والشعور بالعجز لعدم قدرته على ردّ الإهانة لها، لم يتوقع شيئًا مهينًا إلى هذا الحد، ولكنه كان يعرف أن هناك ثمنًا، استطردت هي وكأنها تقرأ أفكاره:

- لا يمكن أن يعجبك ثمن كل شيء، وأنا أعرف أن الثمن غالٍ، ولكن البضاعة ستعجبك.

جلس مستسلمًا لها دون أن يتحدث وهو يشعر بلهيب خفيف على وجهه الذي أخرج من جيبه منديلًا ليمسحه وأذنه ما زالت تصدر صفيرًا من صوت الصفعة السريعة، لم تكن مؤلمة لبشرة وجهه، ولكنها أحدثت شرخًا واضحًا على سطح كرامته لا يصلح به أي نوع من علاجات السمكرة أو الدهان. حاول الحفاظ على هدوئه بينما داخله يقسم أنه عندما يحصل على ما يريد سيرد لها هذه الصفعة مئات المرات حتى تختفي معالم وجهها. تبتسم هي ابتسامتها الجحيمية التي لا تتحرك معها رموش عينيها، بشفتيها الكبيرتين اللتين فيما يبدو تم حقنهما من قبل بالبوتكس فصارتا أكبر من الطبيعي، ولكن لقلة الرعاية وعدم توافر مستحضرات التجميل مع شيء من جفاف أصبحتا كشقوق الجبل بعد السيول، عندما تغيب بالنظر فيهما تعتقد أنه سيخرج منهما ثعابين ميدوسا مع وجنتين جامدتين تحدث رعشة بسيطة بالخد الأيمن كل نصف دقيقة، كل

تفاصيلها تصيب بالتوتر، هي تعرف أنه يريد منها شيئًا ما وهو يعرف ذلك أيضًا، فاستجمع نفسه وسألها:

- أنت تعرفين أنني أريد أن أعرف قصصك وكوابيسك، ولكنك لا تهتمين لماذا؟ أو ماذا سأصنع بها؟

- بالطبع أعرف، وأعرف بالتأكيد أنه ليس شغفًا أو سببًا علميًا، ولا أهتم، ولن أسألك أين تذهب بقصصك، ولا أين ستذهب بكوابيسي كل مرة، كما لن تسألني أنت أين أذهب بكرامتك في كل مرة آخذها.

تتغير ملامحه إثر الكلام فتعلو صوت ضحكتها فيزداد اشتعالًا، تختفي ضحكتها وابتسامتها بعدها بثوانٍ..

- بعد كل ما حدث بالطبع كنتُ شخصية منبوذة في المدرسة، كنت أتعايش مع العزلة بصورة جيدة حتى وصلت إلى الجامعة، صديق أو اثنين في كل فترة في حياتي دون أي ارتباط عاطفي، الصداقة الحقيقية لا توجد بها توقعات أو تنازلات، هكذا كانت حياتي حتى وصلتُ للجامعة، وهناك تعرفت على ميريهان، أكثر صديقة مقرّبة لي، في الحقيقة لم أقترب منها فأنا أعرف كيف أضع مسافات مناسبة بيني وبين الآخرين حتى لا أتعلق أو أُعلق، ولكنها اقتربت، وفي اقترابها ظهرت تلك الأشياء التي تجعل للعلاقات طعمًا مختلفًا، الصحبة والضحك والشعور بالاهتمام والتفضيل، كل تلك المشاعر كانت بيني وبينها، ولأن الصورة كانت جديدة ومبهرة الألوان عليّ لم أرَ الجدار خلف تلك اللوحة، كان كل هذا للتقرب إليّ ودخول عائلتي، ولذكائي الشديد فتحت لها كل الأبواب وكانت أسرتي سعيدة أني أصبحت طبيعية بأصدقاء كباقي البشر، هي صنعت كل

هذا لكي تختلط بأسرتي، ومنها إلى أخي علي، علي هذا كان انتهازيًا ونرجسيًا، ولأنها تعرف كيف تتلاعب بأي شخص وأسهل شخص يمكنك التلاعب به هو شخص يعشق نفسه كأخي، كانت تعطيه اهتمامًا خاصًا، وهو أعطاها أيضًا الاهتمام وبعض الهدايا، وفجأة وجدت نفسي في العزلة مرة أخرى بعد انتهاء الغرض مني، وبصدفة بحتة عرفت أن لها علاقة مع شخص ما، وأنه ليس الوحيد، حذرتني منها صديقة مشتركة بالجامعة وجعلتني أرى أخاها والمستوى المتدني من الأخلاق الذي يعيشان فيه، أدركت ذلك وكنت أنوي أن أحذِّر أخي منها، ولكني لم أعرف كيف، فهي عرفت كيف تلتف حوله وتمتلك قلبه عن طريق أجزاء هامة في جسد الرجل دخلت له منها، وأنا مجنونة العائلة التي مهما تحدثت يتجاهلونها ويستمعون للتعليمات.

تقف وتسير بجانب الفراش وتأتي بزجاجة ماء بلاستيكية بجانبه تمسكها وتصب بالكوب البلاستيكي وتضعه في وضع استعداد للشرب، ثم تستكمل:

- هي أدركت أنني عرفت، وكان يجب أن تتصرف بسرعة قبل أن أحذِّره، وصادف ذلك عيد ميلاد أختهم الصغيرة، قامت بعمل عيد ميلاد كبير واستضافتني، وجدتها تغيرت قبلها تغيُّرًا شديدًا وكانت مهتمة بي بطريقة شديدة. ذهبت إلى عيد الميلاد الذي أعددته معها، وبعد انتهاء عيد الميلاد ورحيل الجميع، جلسنا في غرفتها كعادتنا بمنزلها بالمعادي، ضعقت من دخول أخيها معنا وهو شيء لم يكن يحدث في العادة، ولم يكن وحده بل كانت معه صديقته وأختها الصغيرة. كان يجب أن أشعر بالراحة في مثل هذا التجمُّع لأنه مهما

كان أقصى ما أتوقع بعقلي فوجود هذا الجمع المختلف لا يمكن أن يتفقوا على شيء شرير سويًا، شعرت بالرعب في البداية عندما اقتربت مني ميريهان، لم أكن أعرف ماذا في عقلها، ولكنها بتقدُّمها ناحيتي تقدموا جميعًا، أجبروني على خلع كل ملابسي وتصويري عارية، كان الوضع مهينًا لأقصى درجة، في كل مرة يلمع فلاش الكاميرا يأخذ طبقة من كرامتي، حتى فقدتها تمامًا. عرفت أني حمقاء عندما أزلت هذا الجدار بيني وبين الآخرين. المهم، أخذت هي كارت الذاكرة الخاص بالكاميرا ووضعته في محفظتها الصغيرة ووعدتني أنه سيظل كذلك طالما التزمت الصمت مع أخي، ووعدتها بذلك، عادوا بي إلى المنزل في هدوء، أسبوع وتقدّم لخطبتها فوافقت، ازدادت عزلتي رغم أنها أصبحت تقترب مني بشكل كبير محاولة احتوائي، ولكي تذكِّرني دائمًا بألا أتهور، المهم قرروا الزواج بعدها وأن يعيشوا مؤقتًا في منزلنا الكبير حتى ينتهي أخي من شقته.

سكتت قليلًا وشربت الكوب كله مرة واحدة، ويتغير وجها فجأة..

- في أول يوم جاءت بعد شهر العسل دخلت الغرفة واحتضنتني واعتذرت لي وأعطتني كارت الذاكرة من نفس المحفظة، وهنا بدأ الكابوس، وكان أسوأ كوابيسي.

ملأت كوب الماء مرة أخرى، ومينا يسمعها بتركيز شديد ينسى معه كل ما حدث منها.

- نحن نمتلك فيلا كبيرة يمكنك أن تقول إنها قصر بأكثر من عشر غُرف أساسية كانت مملوكة لجدي في الأساس، كنا نلعب بها ونحن

في سن صغير لعبة الاستغماية، كان من الصعب الإمساك بمن يختبئ، ولكننا كنا نعرف أماكن الاختباء الجيدة بالمنزل، حيث يمكنك أن تقتل أحدًا وتخفيه ولن يجده أحد أبدًا، هي لم تكن تعرف، لم تكن تعرف أن السلم الرئيسي الكبير الذي يصل إلى غرف النوم في آخره مخبأ جيد لا يتوقعه أحد، وبالتأكيد لم تستمع لأبي وهو يحذرها كضيفة جديدة ألا تقترب من السلم عند انقطاع الكهرباء لأنه طويل وعريض بشكل يجعله خطرًا. أعتقد أن كل ما تتذكره أن الكهرباء انقطعت عندما دخلت المنزل في وقت متأخر قادمة من منزل أهلها، وأها وجدت طريقها وصعدت السلم على فلاش الموبايل الصغير، وعندما وصلت إلى آخر السلم وهي تضع آخر قدم على السلم انفجر فلاش مبهر وكبير في وجهها جعل الليل نهارًا وأصابها بصدمة تعثّرت على أثرها على السلم، لم يكن فلاش كاميرا عادية للأمانة، بل كان فلاشًا خارجيًا يستخدم في إضاءات تصوير المشاهد الخارجية، المهم أنني انتظرت ثلاث ثوانٍ من الارتطام حتى أسمع صوت كسر وصرخة من القلب وأنا جالسة في مكاني المفضل للاختباء وأسمع الجميع يجري والأنوار تضاء ويلتفون حولها قبل أن أخرج من مخبئي دون أن يراني أحد. خطة بسيطة ولكنها مُجدية، والأجمل أنها لم تفت، ستعيش حياتها قعيدة ولن تستطيع الحمل، صارت معلّقة في رقبة أخي علي الذي أصبح لا يطيقها لأنها صارت عديمة الفائدة له ولا يستطيع الطلاق منها لأنه سيصبح خائنًا وشريرًا، أستمتع بمشهدهما سويًا في الحديقة كل يوم في بؤس تأثيره عليّ أفضل من قهوة الصباح في يوم شتاء ممطر، صحيح أنه بعدها سيستغل إعاقتها في الدعاية لنفسه أنه شخص ذو أخلاق ومحب

لزوجته، وهي ستلعب هذا الدور أمام الناس لكي تجعله سعيدًا لأنها فقدت كل الألعاب الأخرى التي كانت تربطه بها.

تصمت وتأخذ رشفة من كوب الماء فيسألها مينا:

- ولم تعرف هي أنك أنت من قُمتِ بذلك.

- بالطبع لا، الصدمة جعلتها تنسى كل ذكريات تلك الليلة، الممتع أنها أصابتها حالة نفسية من فلاش الكاميرات، وتصاب بنوبة رهاب شديد عندما يسطع فلاش الكاميرا في وجهها وهي لا تعرف لماذا تصاب بهذا الرهاب. في عيد ميلاد أمي منذ عامين أقام لها أبي حفلًا كبيرًا فأعطيت المصور نقودا لكي يصورها والحفل ليلًا والفلاش حتمي، كادت أن تفقد عقلها بصورة كوميدية.

ارتسمت على وجهها ابتسامة عصبية اختفت بعدها في ثوان قبل أن تقول بعصبية شديدة وانفعال:

- أريد أن أكتب خطابًا ما وأرسله لشخص، وسوف تساعدني في ذلك، لا أعتقد أن لديك مانعًا.

- بالطبع لا.

تعود على وجهها نظرة لم يفهمها مينا قبل أن تتحدث في هدوء بصوت متأثر:

- بالطبع تريد أن تعرف الكابوس الذي ظل معي عامًا وجعلني أبلّل فراشي عدة مرات، وأنت تستحق معرفته، سأحكي لك..

***

- التحويل تم يا مينا.

يقولها جون والابتسامة تتسع على وجهه لتنتقل تلك العدوى السعيدة لوجه مينا، لا توجد فرشاة تستطيع رسم السعادة على وجوه الماديين بقدرة فرشاة المال، هي تبدع على وجه مينا الآن في رسم الابتسامة، ولكن للأسف تخرَّب هذا الرسم فرشاة الجشع دائمًا.

- وهل ما زالوا يريدون كوابيس أخرى مدفوعة أم اكتفوا؟

- لا أعرف، ولكن يجب أن نحضِّر شيئًا آخر، سيجلبون عددًا من المتطوعين وسنقوم نحن بعمل التجارب عليهم في حضور كل الفريق والمموِّل أونلاين، ستكون لحظة فاصلة في المشروع.

- ومتى سيتم ذلك؟

- أعتقد بعد عشرين يومًا مثلًا، يجب أن نكون جاهزين بأفكار أخرى يا مينا، لا تضيِّع من يدك الفرصة.

يسب ويلعن مينا أخاه في داخله، يأخذ نصف المال ولا يفعل شيئًا سوى الجلوس أمام الكمبيوتر وأمامه الطعام والشراب ويأمره ماذا يفعل ومتى ويضغط عليه، من ناحية أخرى عليه هو مواجهة جنون نيفين وتقبيل قدمها وقبول الصفع وتقديم كافة التنازلات حتى يحصل على ما يريد منها، وفي النهاية (لا تضيِّع من يدك الفرصة).

- فيمَ تفكر يا مينا؟

- لا شيء يا جون، لا شيء.

- إذن أنا أنتظر منك الأفكار الجديدة في أقرب وقت ممكن حتى

نستطيع تطويرها سويًا، هل ستستطيع أم ستواجه مشاكل مع مريضتك؟

- أواجه مشاكل كبيرة معها، هي ليست شخصية سهلة.

يبتسم جون في دهشة:

- شخص مثل التي حكيت لي عنها بالطبع استثنائية وأنا أعرف أنك تعاني، ولكن هذا عملك وأعتقد أنك تعوّدت على مثل تلك الحالات.

يرد مينا بجديّة:

- نعم، تعاملت مع الكثير جدًا، ولكن هذه الحالة فريدة جدًا ومثيرة للغاية، لم أشاهد مثلها في حياتي ولم أقابل مريضًا بهذا الذكاء والقدرة على تحليل المواقف، ولكنها خطيرة للغاية وأنا أتعامل مع قنبلة موقوتة على سطح بوتاجاز مشتعل في مصنع غاز، أنت لا تعرف شيئًا فقط تجلس على مؤخرتك تشاهد نيت فليكس أغلب اليوم.

يضحك جون على التشبيه وهو يرد على أخيه:

- لكن المال مقابل تلك المخاطرة لا تحقق ربعه أنت من تجارة الحبوب المخدرة.

يضحك مينا معه ضحكة تمثيلية، هي لعبة بينهما منذ الطفولة، تقليل شأن بعضهما وتعظيم أدوارهما، كلاهما تربّى على أن المال كل شيء، ولهذا بعد وفاة والديهما لم يحتفظا بأيّ من معلقاتهما، بل لن تجد في المنزل صورة واحدة معلّقة لأي من الوالدين حتى أنهما

عندما أعادا تجديد الشقة خلعا صليب والدتهما من على الحائط ودهنا مكان أثره حتى يزول، ما يبقيهما سويًا أنهما يحبّان تلك اللعبة الطفولية، لعبة (أنا الأفضل).

- ومن قال لك إني سأبقيها كمخاطرة يا جون، أنا دائما أجد الطريق السهل في أصعب اللحظات، حتى في تجارة الحبوب المخدّرة التي تسخر منها، أنا أفعل كل هذا بأقل مجهود، لأن عضلاتي في عقلي ولا أعتمد مثلك على الذكاء الاصطناعي في كل شيء، أنت الآن سمسار لا أكثر، اجلس وانتظر الجديد مني.

- عبقري يا مينا، أنت عبقري دائمًا.

يضحك كلاهما على غطرستهما الدائمة وهذا النزال الطفولي الذي لا ينتهي ويجعلهما يتبدّلان في الحوار مائة مرة كالحرباء، والتي لن تخفيه تلك الضحكات من القلوب.

***

- صباح الخير دكتورة نيفين.

يقولها هذه المرة المحامي كمال أبو الفضل وهو يدخل غرفة نيفين التي تعتدل في جلستها على الفراش أمام الزائر الجديد الذي لا تعرفه، فيقوم بتعريف نفسه فتقف وتجلس على المقعد أمامه في اهتمام بينما يجلس هو الآخر، لكن يقف بجانبه شوقي البطاح مراقبًا للموقف، شوقي أرسل لمينا فور ظهور كمال ومعرفته بغرض زيارته، يلتفت كمال إلى شوقي ويتحدث إليه مبتسمًا في ود:

- أريد أن أتحدث مع موكلتي على انفراد إذا أذنت لي، لا تقلق من

شيء.

يعرف شوقي أن عليه أن يرحل حتى لا يسبب أي نوع من التوتر..

- تمام، أنا موجود في الخارج إن احتجت أي شيء.

- شكرًا لك.

يغادر البطاح فيلتفت كمال إلى نيفين ويتحدث إليها في صوت خافت للغاية:

- ما أخبار إقامتك هنا؟

ترد نيفين بتوتر غير معهود عليها اندهشت له جدران الغرفة وبنفس درجة صوته الهامس:

- أنا أريد أن أعرف ماذا سيحدث لي؟

- دكتورة نيفين، حاليا هذا أفضل سيناريو ممكن، بل إن نجاحك في إثبات أنك مريضة شيء فاق توقعاتي للأمانة، كل ما عليك أن تستكملي هذا العمل الجيد لأطول وقت ممكن،

يتحوّل التوتر إلى عصبية في لهجتها:

- لا يوجد معنى أن أطيل وجودي هنا وينتهي الأمر بالمشنقة في النهاية، وقتها سيصبح كل هذا عدم.

- هناك مستجدات في التحقيقات في صالحك بخصوص الشريحة التي وجدوها في الكاميرا، لقد قاموا بتتبع ال IP الخاص بالكاميرا وربطه بمكان استقبال إرسالها، وهو مختلف تمامًا عن مكان تواجد هاتفك تلك الفترة، هذه في صالحنا، وقد نجد من هذه الثغرة منفذًا

للبراءة، وهذا يعتمد على ردك على سؤالي.

- وما السؤال؟

- هل كنت تشاهدين ما يحدث أم لا؟

تصمت نيفين وهي تنظر إليه نظرات لم يفهمها كمال، لم تكن حيرة، بل كانت نظرات ثابتة، هل هي ثقة أم ضياع لم يفهم.

- عمومًا تلك الشريحة هي الشيء الوحيد الذي يدينك، إذا استطعنا إفساده ستفسد القضية بالكامل، وقتها يمكننا التحرك، وحتى هذا الوقت يجب أن تظلي هنا وتقومين بما تقومين به هنا، تقرير حالتك النفسية إذا جاء بصورة منافية لسلامة العقل سينفي عنك القدرة على تخطيط الحادثة أيضًا وقد يكون سبب براءتك.

- هل يمكن نقلي إلى مستشفى آخر بعد ذلك؟

- سنرى ما يحدث، وحتى صدور التقرير أنت كما أنت.

تصمت في هدوء وتستعيد وجهها الحقيقي وهي تتحدث:

- هل سأل أبي عني؟

- بالطبع، ويتابع تفاصيل القضية أولًا بأول.

كذبة قالها هو، وهي لم تشترِها منه، ولكنها مدّت يدها له بورقة مطبقة طبّقتها بيده:

- أعطِها له.

- تمام.

يقف ويلمح شوقي يقف والباب مفتوح مسافة قُطر عين شوقي فقد كان يراقبهما وابتعد فورًا عندما اقترب كمال من الباب، فأشار إليه ورحل في هدوء، بينما رفع شوقي سماعة الهاتف ليقص على مينا ما شاهد ولم يسمعه بينهما، مكالمة لم تحمل الكثير، ولكن حمل مينا منها الكثير من القلق.

***

- هل هذا هو تقريرك الشامل للحالة يا دكتور مينا؟

يمسك الدكتور ممدوح أوراق التقرير الذي قدّمه له مينا والخاص بحالة الدكتورة نيفين.

- نعم يا دكتور، المريضة تعاني من الانفصام واضطراب سلوكي عنيف،

- عنيف، إلَامَ تستند في موضوع العنف هذا؟

يسكت مينا للحظات قبل أن يجيب:

- بجانب التشخيص الظاهري الذي يدل على الاستعداد للعنف، في الجلسة الأخيرة اعتدت عليّ بالضرب وظلت تضحك في هيستيريا، لقد ذكرت هذا الموقف في التقرير.

ثم يحل الصمت والدكتور ممدوح يتابع التقرير باهتمام ومينا في انتظاره للانتهاء من قراءة التقرير ثم يضعه على مكتبه ويتحدث:

- أنت تعرف أن هذا التقرير يجب أن يصدر من لجنة ثلاثية، وعليه، يُعاد صياغة التقرير على أنه من المستشفى وسوف أوقّع أنا وأنت

عليه، واختر طبيبًا ثالثًا معك للتوقيع كالعادة وبعدها سنقوم بإرساله للنيابة.

- أوامرك يا دكتور، وأفضّل نقل المريضة إلى العزل، قد تقوم بالاعتداء على شخص آخر أو الانتحار، يجب علينا أيضًا تشديد الرقابة عليها الفترة القادمة.

- إذا كنت ترى هذا فنفّذه يا دكتور مينا.

كان كل ما يريده ممدوح هو إنهاء تلك الحراسة المشدّدة عليها، فوجود قدم للشرطة داخل المستشفى هو شيء غير مريح له تمامًا ولا يعتاده، فنادرًا ما يحوّل مريض بتهمة جنائية له لأن كل تلك الحالات هي اختصاص مستشفيات العباسية والخانكة، وهو هنا يدير مستشفى كبير، ولكنه معزول ويعيش بها أوقات سعيدة.

يشعر مينا بالسعادة وهو خارج من مكتب الدكتور ممدوح لعدة أسباب؛ أولًا: لأنه الآن يستطيع أن يبقي نيفين لوقت أكثر معه، ويستطيع أن يحلب منها الكوابيس الدولارية، ثانيًا: سوف يحمي نفسه مما قد تقوله لأي شخص بما فيهم المحامي، أو التواصل مع أي شخص يظهر في الأفق، ثالثًا: لأنه خطط لشيء ما آخر لنيفين، شيء متعدد الفوائد له ويضيء أحلامه، ولكنه شيء مظلم بالنسبة لكوابيسها.

***

التجربة الأولى

اسم المتطوّع: أسامة مصطفى

السن 18 عامًا، لاعب محترف لألعاب الفيديو، وفائز بعدة جوائز محلية، وشارك في بطولتين عالميتين للعبة فيديو جماعية شهيرة فئة الألعاب القتالية

يدوّن مينا تلك البيانات في التجربة الأولى لأول لعبة في مجموعة كوابيس نيفين والتي أطلقوا عليها غرفة الكابوس، ثم يجلس أمامه أسامة في هدوء وابتسامة تحمل الكثير من الإثارة والحماس للتجربة، يجلس في غرفة مزوّدة بعدة كاميرات مفتوحة للمشاهدة لفريق العمل بالكامل، يقوم مينا بتركيب أجهزة لقياس رسم القلب ومراقبة الحالة الصحية العامة للمتطوّع، بينما تقوم كاميرا داخل الخوذة بتصوير تعابير الوجه للمساعدة في تقرير الحالة النفسية له.

يسأل مينا.

- هل شربت أي مشروبات طاقة أو مشروبات كحولية أو مخدرات في آخر 48 ساعة؟

- لا، لم أشرب.

- هل تشتكي من أي أمراض حالية أو أي أمراض وراثية في الأسرة؟

- لا، الحمد لله.

- هل أنت جاهز لتلك التجربة التي لن تُنسى؟

يبتسم أسامة ابتسامة واسعة.

- أتمنى ألا يخيب أملي.

يجلس جون في جانب الغرفة ليتأكد من أن كل شيء مُعد بصورة جيدة، وأن الفريق على اتصال معهم ويرى كل شيء، كانت الشاشة مقسومة إلى أربع كاميرات؛ واحدة لأحداث اللعبة، وواحدة لوجه اللاعب، وواحدة للغرفة كاملة، وواحدة مثبتة على اللاعب وحده. يقف مينا ويساعد أسامة في ارتداء الخوذة وتشغيلها، ويعطيه في يده ذراع التحكم الخاص بالجهاز. ينظر مينا لجون الذي يشير إليه بأن كل شيء مُعد، تبدأ اللعبة ويركز مينا على مقاييس أسامة التي أمامه ويتابع تطور حالته طبقًا للعبة، جون يتحدث مع الفريق عن الاستعداد، بينما مينا بجانب المتطوّع لتجربة نظارة الحقيقة واستعداده لدخول تجربة جديدة لا يعلم عنها شيئًا، كابوس نيفين الأول.

أغمض أسامة عينيه وأخذ نفسًا عميقًا وهو يسمع صوت الإعدادات والعد التنازلي، ثم فتحهما فوجد نفسه في غرفة مظلمة ضيقة ومليئة بالظلال. كان من الطبيعي أن يُصاب بلحظة ذهول من رؤية كل ما حوله بالصورة الطبيعية، ولكن الرعب من الظلام غطّى مشاعر الرعب على الذهول، وقبل أن يتسنى له أن يتحرك سمع صوتاً ضعيفاً كأنه همس بعيد، ثم ازدادت شِدّته حتى تحوّل إلى همهمة غريبة، التفت حوله بخوف وعيناه تفحصان كل زاوية مظلمة. الأصوات تأتي من باب خلفه، بينما هناك باب آخر أمامه، الأصوات تعلو وتتحول إلى نفَس عميق يقترب ويلتصق في الباب، وقتها يقبض أسامة على ذراع التحكم، ويسير ناحية الباب المقابل له الذي فجأة تضيء عليه كتابة تظهر وكأنها جمر ترتفع حرارته، تظهر له كلمة اهرب، يجري ويفتح الباب ويغلقه خلفه، صوت خشخشة التنفُّس

يملأ الغرفة التي خلفه وهو يشعر بالرعب فعليًا، يجد نفسه في غرفة طويلة وآخرها غرفتان ببابين بهما فتحة على شكل كفّ مضموم الأصابع عدا الإبهام، واحدة يخرج منها الضوء والأخرى مظلمة كالموت.

بالطبع يدخل المضيئة ويغلق الباب خلفه فيختفي الصوت، يهدأ لثوانٍ ويتأمل الغرفة في دهشة ليجدها غرفة مفروشة بالحشائش وبها أشجار صغيرة وورود، يسير فيها بخوف ليجد في منتصفها طفلة صغيرة تجلس وتعطيه ظهرها، يقترب منها، وعندما يقف خلفها بالضبط تلتفت برأسها بشكل مرعب بينما جسدها ثابت مكانه وهي مغلِقة العينين، ثم ترفع يديها من خلف ظهرها في وضع تشريحي مرعب وكأن ذراعها مفصول عن جسدها وتشير ناحيته بقبضة يدها فيلاحظ أنها دون أصابع، ثم تفتح جفنيها الخاليين من عيون وتفتح فمها من غير أسنان وتصرخ صرخة حادة بصوت رفيع ليبدأ الدم ينزف من عينيها وفمها، ويهجم صوت خشخشة النفس على الغرفة من بعيد كأنه يزحف عليها، فيبدأ أسامة في العدو مرة أخرى إلى الجهة الأخرى من الغرفة التي يجد فيها بابًا يفتحه ويدخل الغرفة ثم يغلقه وصوت فحيح يلتهم الغرفة السابقة ويقترب، يقف وينظر أمامه ليجد طرقة طويلة يجري بها بصورة تلقائية ليجد نفسه أمام غرفتين كالسابقتين بعلامة الكف مضموم الأصابع مفرود الإبهام الذي يخرج منه نور والكف المظلم، يختار النور مرة أخرى، يفتح باب الغرفة ويدخل ويغلق الباب تلقائيًا بعد دخوله ليجد غرفة تشبه الغرفة السابقة نفس الحشائش والأشجار، لكن في تلك المرة في منتصفها رجل عجوز يجلس على مقعد وفي يده عكاز، يقترب منه

أسامة فيشير إليه بالعكاز ويقول له:

- أنا أعرف عنك كل شيء، أنا أعرف عنك كل شيء، أنا أعرف عنك كل شيء.

ويظل يرددها حتى يرتفع صوت النفَس المرعب مرة أخرى فيبدأ أسامة في العدو إلى نهاية الغرفة ليجد الباب مرة أخرى ويفتحه ويدلف إلى ما بعده وهو لا يستطيع التقاط أنفاسه من فرط الرعب والإثارة، يجد نفس الطرقة، ولكنها أطول وكأنها كيلو متر من العدو ويجد في آخرها نفس البابين، كف النور وكف الظلام، تلك المرة يقرر أن يفتح الغرفة المظلمة، يدخل الغرفة ويغلق الباب خلفه تلقائيًا وهو ينظر إلى الغرفة في رعب، الغرفة مضاءة بضوء خافت من صفين على أطراف الغرفة من الشموع، ولكنها ليست شموعًا، هي مقصات شعر مشتعلة أسنانها، وفي النهاية هناك حفرة دائرية كبيرة، لا شيء آخر في الغرفة، يجري أسامة إلى آخر الغرفة ويقف وينظر في الحفرة، هي عميقة لدرجة أنه يرى بالكاد آخرها الذي هو عبارة عن عين كبيرة، عندما نظر في الحفرة فتحت ونظرت له. يقف حائرًا وصوت النفَس يعلو ويقترب من باب الغرفة وهو متجمد في مكانه، يفتح باب الغرفة ليدخل منه الشيء الذي يطارده وهو ينظر إليه في ذهول

كان الذي يطارده هو نفسه، نفس وجهه ولكنه مشوه وبشرته شاحبة وعيناه مفقوأتان وتحتهما آثار دماء خفيفة وشعره مبعثر وعلى كتفيه خفاشان كبيران أسودان كظلام الليل يمسكان بأذنيه بقوة ويصدران صوتاً يشبه الفحيح وهما يتحدثان له ويشيران إلى

أسامة الحقيقي بأظافرهما الطويلة وكأنهما هما من يوجّهان هذا المسخ، فيبتسم ويأخذ نفسًا عميقًا والغرفة تهتز مع صوت خشخشة صدره ويقترب من أسامة.

نوبات صراخ حقيقية من أسامة تجعل جون ومينا يقرران إنهاء التجربة، ومينا يخلع الخوذة عن أسامة الذي ما زال يصرخ في هلع ويحاولان تهدئته، ينظر أسامة إلى مينا وهو ما زال يصرخ والدموع تنزل من عينيه بلا أي تحكم فيعطيه مينا زجاجة مياه في يده التي تركت ذراع التحكم لتسقط منه دون سيطرة فيمسكها ويضغط عليها فتنفجر المياه منها عليه وعلى مينا الذي ينظر إلى مؤشرات دقات قلبه التي بدأت تهبط من أعلى مستوياتها. ظل ينظر إليهما في هلع وهو يحاول تهدئة نفسه قبل أن يشرب المياه بصورة هيستيرية فيهدأ قليلًا ثم يبدأ يضحك في هيستيريا لمدة عشرين ثانية قبل أن تسقط من عينيه دموع ما يشبه البكاء والأخوان ما زالا يحاولان تهدئته قبل أن يسيطر على نفسه ويتحدث:

- أصعب وقت مررت به في حياتي كلها، هذه ليست لعبة، هذه قطعة من الجحيم، هذا أبعد من أقصى ما توقعت من رعب، هذا كابوس حقيقي، أريد أن أرحل الآن.

***

- حسنًا، المُمَوّل أعجب بالتجربة للغاية.

ينعقد حاجبا مينا، بينما جون يجلس جانبه في سعادة لرد آدم على التجربة الأولى، يتحدث مينا:

- أُعجب بماذا؟ لقد كنت على وشك إنهاء التجربة قبل أن يبدأ في الصراخ، المتطوع الذي كما قلت إنه متمرس في ألعاب الفيديو والرعب وصلت مؤشراته إلى الحد الأقصى للبشر، وهذا لأنه شاب صغير، لو كان في الأربعينات مثلا ولديه بعض المشاكل الصحية البسيطة في القلب أو الشرايين لكان انتهى أمامنا.

يرد عليه جون:

- لا تقلق يا دكتور مينا، لقد اقترحنا زِرًا في جهاز التحكُّم عندما يضغط عليه اللاعب ينهي اللعبة فورًا.

بينما يتابع آدم:

- بالضبط، انا سعيد برأيك يا دكتور مينا وتواجدك في التجربة، المُموِّل شاهد التجربة واللعبة ويُشيد بك وبأفكارك، هو لا يريد لعبة رعب عادية، إنه يريد شيئًا متفردًا وأنت أعطته له بأفكارك، هو على حسب كلامه يريد أن يقدم للجمهور تجربة فريدة جدًا، الجمهور شاهد ولعب كل شيء ويريد شيئًا مختلفًا، ولولا أن البرنامج في قيد التطوير ولا يسمح لنا ببناء عالم كبير لصنع لعبة كاملة بهذا البرنامج، ولكن كل شيء في ظل هذا التطور سيصبح ممكنًا قريبًا جدًا، بعد عدة أيام سنسلِّم لكم اللعبة الثانية ونرى ماذا يحدث، وقال إنه سيرسل مكافاة خاصة للدكتور مينا إذا أعجبته أيضًا، للدكتور مينا فقط يا جون.

يضحك آدم وتتبعه ضحكات كل من هم على هذا البث بما فيهم مينا، دائمًا ما يكون ردّ مينا الأوَّلي ردًا نابعًا من أمانة طبيب قبل أن تظهر المادة فيأكل عقله قلبه وضميره لأنه يعلم أن أهم شيء المال،

هو الذي سيبقى له فقط حتى أخيه قد يرحل ويبقى المال، إذا كان هذا ما يسعد السيد المموّل وسعادته ردّها المال لنجعله ينفجر من السعادة ولتنفجر عقول من يجرّبون هذا الهراء الذي أقسم على عدم ارتدائه ثانية، لقد شعر بالرعب وهو ينظر إلى الكابوس الذي اختنق هو نفسه ونيفين تحكيه أمامه وكاد أن يرتعد أمامها ثم زادت دقات قلبه في مستوى اللاعب وهو يرى الكابوس حقيقيًا على شاشة الحاسب الآلي، كان يعلم خطورة هذا التطبيق على عقل أي إنسان ويتعجب من كيف يدير جون وشركته هذا المشروع دون أي شعور بالخوف أو الحذر، ولكنه كان يعرف أن هكذا يدير المال العالم دون مشاعر أو إنسانية، وإذا كان هذا طريق العالم للثراء سيتخذه هو الآخر دون تردد.

***

- جميلة مدينة الجونة.

يقولها أحمد وهو يجلس بجانب نيفين في الشمس الساطعة بملابس البحر ثالث يوم في شهر العسل، ولا شيء في عقلهما سوى السعادة. ترد نيفين:

- بالطبع جميلة، بحر وشمس وهدوء، ولكنها مصيف صناعي، ليس للمدينة روح أو بصمة في عقلك.

يبتسم وينظر إليها:

- هل كنتِ تفضلين أن نذهب إلى العجمي مثلًا؟

- بالطبع، إسكندرية بحد ذاتها لغز.

- هذه أول مرة أسمع مثل هذا الوصف لعروس البحر المتوسط.

يقولها متهكمًا، فترد دون الالتفاف إليه:

- إسكندرية قد لا تحبها وأنت صغير، ولكن كلما كبرت في السن كلما عشقتها أكثر وأصبحت أكثر راحة، إذا دخلتها أول مرة تجدها دائمًا مزدحمة وحارة والرطوبة عالية، ولأسباب خاصة بها فقط تشعر بالأمان والراحة رغم كل تلك العيوب.

تقولها وترحل لهوانٍ قبل أن تستكمل كلامها:

- ليت كل الناس مثل الإسكندرية.

يصمت كلاهما قبل أن يقطع هو الصمت قائلًا:

- سوف أكون مثل الإسكندرية لك يا دكتورة نيفين، لا تقلقي، فقد بدأت أشعر بالغيرة منها.

- لا تكن ساذجًا.

يضحك وهو يتابع كلامه

- إن لديّ الوقت والفرصة لأبرهن لكِ كل ما تريدين، اتركي نفسك وقلقك والوقت سيثبت لك كل شيء.

تنظر إليه في هدوء وتقول:

- أتمني لك التوفيق باشمهندس أحمد.

يأخذ نفسًا عميقًا وهو يقول:

- الحمد لله على هذا الرد المتفائل.

ترد بحاجب مرتفع وابتسامة:

- وماذا كنت تنتظر مني؟

- أيُّ ردٍّ آخر به شك أو شيء من يأس، أو تعيدين لي قصة جوزيف والذئب مرة أخرى.

تضحك فيحتويها بين ذراعيه وينامان على ظهرهما وينظران سويًا للسماء المفتوحة بأمل قبل أن تقاطع هي هذا الهدوء:

- هل قلت لك إن هناك نصفًا آخر لقصة جوزيف والذئب.

***

يجد أحمد بشارة مرأب مخصّصًا للسيارات بجانب المستشفى، قام بالأمس بحلاقة شعره وذقنه بالكامل تاركًا شاربًا كثًا، وارتدى نظارة سوداء عريضة فصار شكله الحالي غير ما كان عليه، حتى أنه تفقّد صورته في البطاقة الشخصية وأدرك أنه سوف يكون في مشكلة إذا طلب أحدهم منه البطاقة، ولكن هو يعلم أنها في النهاية مستشفى لا جهازًا للشرطة، ينزل منها ويسير بخطوات هادئة وهو ينظر اللي لوحة اسم المستشفى المصنوعة يدويًا والكتابة مائلة وكأنها تقع من اللوحة (مستشفى الصحة النفسية بحلوان) وهو يمر من تحتها ملقيًا التحية على الأمن الذي لا يرد عليه في تجاهل ويسير حتى يصل مبنى المستشفى الأساسي بجدرانه القديمة البالية التي أُعيد دهانها ألف مرة والتي خُدشت أيضًا عدة مرات فتظهر كتجاعيد بشرة وجه رجل بعمر ألف عام، ليس كمستشفى حكومي عادي مزدحم، ولكن كل شيء يدل على أنه لا يختلف عن باقي المستشفيات، بل إن هناك

الأكثر حظًا في التطوير، أثاث قديم ومتهالك، كراسي انتظار مهترئة وبعض النباتات الصناعية التي تحاول إضفاء لمسة من الحياة على المكان بلا أمل، الهدوء يخيم على المكان، يقطعه أحيانًا صوت طابعة تتلقّى أوراقًا جديدة أو رنين هاتف مع همهمات الموظفين في الخلفية، الاختلاف الوحيد أن رائحة المعقّمات التي تضرب الهواء قاتلة لأي شيء آخر، المرضى وذووهم منثورون في أماكن متفرقة، الأكثر وضوحًا فيهم المدمنون لهم شكل مختلف عن المرضى النفسيين، المستشفى به حديقة كبيرة يمكنك ملاحظتها عبر النوافذ، يقف أحمد متأملًا المرضى الذين يهيمون في هذه الحديقة ويتنقل بينهم آملًا ألا يرى نيفين؛ فهذا هو الذل بعينه، أن تكون زوجته وابنه في القبر ونيفين في حديقة حتى لو كانت حديقة فقيرة وبالية وفي مستشفى رعاية نفسية، يندهش أن أفراد الأمن قليلون في المستشفى، ولكنهم متمركزون بصورة تصعّب عليه التحرك بسهولة في المستشفى، يسير ناحية الاستقبال، تقف عدة ممرضات متباينات في السن، يختار أن يتحدث إلى أصغرهن سنًا اعتمادًا على فكرة أنها أقلهن خبرة، فينتظرها حتى تصبح شاغرة ويتقدم ناحيتها بثقة وبلهجة صوت غليظة يتحدث:

- صباح الخير.

- صباح النور.

- أنا أحد أقارب المريضة نيفين أكرم جودة، هل يمكنني زيارتها؟

- انتظر معي دقيقة.

على جهاز الحاسب الذي أمامها يبدو أنها تبدأ البحث، فيقاطعها

وهي تعمل:

- أنا أعلم أنها موجودة على ذمة قضية، ولكن هل زيارتها مسموحة؟

تتجاهله وهي تقوم باستكمال بحثها على الجهاز وتنتظر نتيجة البحث، ثم ترد عليه عندما تظهر النتيجة:

- بالنسبة للمستشفى زيارتها مسموحة لا مشكلة، ولكن يجب عليك أولًا الحصول على تصريح من الأمن الموجود على البوابة والذي يتواصل داخليًا مع الحراسة الموجودة على المريضة، ووقتها يمكنك الحصول على إذن بزيارة المريضة، بعد حصولك عليه تأتي هنا وتأخذ تصريحًا من المستشفى ويمكنك لقاؤها بشكل عادي.

لا يستطيع أحمد التحكم في أعصابه أو احمرار وجهه الذي ساعده الحظ أن الموظفة تنظر إلى الشاشة وتتجاهله، فكرة لقاء نيفين بصورة ودية هي فكرة لم تخطر بباله، ولكن هل يمكن للشرطة في الأساس الموافقة على لقاء الجاني والمجني عليه؟ تستكمل هي الحديث:

- هي موجودة في عنبر السيدات حاليًا في مكان خاص بحراسة منفردة.

يهز رأسه بالفهم ويشكرها ويسير متجهًا إلى مدخل الاستقبال مرة أخرى ناحية السلم، وهناك يقف ويبدأ في مسح المكان بنظره، هذا مستشفى حكومي، لهذا هناك إمكانية في أن أحدهم يمكنه التحدث مقابل المال، ولا شيء يأتي بنتيجة أكثر من أن تكون كلاسيكيًا،

يُخرج سيجارة ويشعلها رغم أنه توقّف عن التدخين منذ سنوات إلا أنه عاد له منذ الخروج من المستشفى، وها هو شخص ما يظهر من تحت الأرض يبدو أنه موظف أو شيء من هذا القبيل.

- التدخين ممنوع يا أستاذ، أنت هنا في مستشفى.

يقولها وكأنه في مستشفى الصدر، سمين وقميص ازرق قديم وسروال بني فاتح كان غامق اللون يومًا ما ووجه صغير لا يصل إلى نصف قطر فخذه الذي اتحد فيه الشحم والدهن قرابة خمسين عامًا، فيطفئها في الحال أحمد في حركة تمثيلية ويرد:

- أعتذر كثيرًا، لقد نسيت نفسي من التوتر، أرجوك اعذرني.

يرتفع الحاجبان الغليظان للشخص المجهول ويتحدث في لهجة أقل حِدة مائلة للتعاطف:

- هل حضرتك مريض هنا؟

- لا، لي قريبة هنا.

- أوه، حضرتك هنا للزيارة، هل سجلت في الاستقبال أم ماذا؟

- لا، ظروفي لا تسمح بزيارتها للأسف.

ينخفض الحاجبان ويقترب نزولهما إلى أعلى الأنف، مسافة ليست بقصيرة لدرجة أن أحمد شعر بنسمة هواء جراء حركتهم.

- لماذا، قل لي كيف أساعدك؟

- هل حضرتك دكتور هنا؟

- لا، أنا أمين مخزن، ولكني أعرف كيف أخدم.

ويبتسم ابتسامة صفراء لأحمد الذي يشعر ببارقة أمل، فيبتسم هو الآخر.

- هي خدمة كبيرة، لا أعرف إذا كنت تستطيع فعلها أم لا.

يضحك القميص الأزرق وهو يقول لأحمد:

- قُل يا بيه ماذا تريد وسيكون المطلوب لديك.

- هل هنا أمان أم يفضِّل الحديث خارج المستشفى؟

يعود الحاجبان إلى أعلى مرة أخرى:

- يبدو أنها أكبر مما في رأسي! يوجد مقهى في آخر الشارع أمام المستشفى بجانب الحلواني، انتظرني هناك وأنا نصف ساعة وقادم، اسمي محسن، محسن حسني.

يبتسم له أحمد نصف ابتسامة ويخرج متجهًا إلى باب المستشفى، يأخذ السيارة ويذهب إلى نقطة اللقاء، بالطبع يترك السيارة بعيدًا عن المكان المقصود، إنه يخشى من أن يقوم هذا الرجل بدور الشريف ويبلغ عنه الشرطة، ولكن لا، هذا يمكن أن يحدث إذا كان الرجل أمين شرطة، الرجل بالطبع يعتقد أن أحمد يبحث عن المخدرات أو شيء ما من هذا القبيل.

جلس أحمد ولم تمر النصف ساعة إلا وقد ظهر هذا المحسن، محسن الذي عندما دخل المقهى نادى القهوجي على صانع القهوة يطلب منه إعداد فنجان قهوة للحج محسن، ففهم أحمد أنه زبون

دائم هنا، وهذا شيء يدعو للراحة، هذا الرجل فاسد. يجلس بجسده الثقيل على الكرسي الخشبي الذي يشهق من الحمل فيُخرج أحمد سيجارة من علبته ويعرض عليه فيلتقطها محسن ويقترب منه أحمد وهو يشعلها له، فيمسك يد أحمد ليبقى قريبًا منه ويقول بصوت منخفض:

- ماذا تريد من نيفين جودة؟

يبتعد أحمد عنه في دهشة:

- لم تشتعل السيجارة، أشعلها وبعد ذلك اندهش كما يحلو لك.

يشعل أحمد السيجارة له ويعود للخلف في صمت فيستكمل محسن الكلام:

- أنت تريد اصطناع الذكاء في مكان لا تعرف عنه شيئًا؟ وفي حلوان؟ ما هذا الجبروت الذي صار به البشر؟ لا اعرف كيف لم تلاحظ أن شكلك مختلف ولافت، هذا مستشفى حكومي لفقراء الشعب وتعتقد أنك تستطيع الدخول بهيئتك تلك ولا يلاحظك أحد! أنا أتابعك منذ دخولك حتى لقائي بك، وبالطبع عرفت من الاستقبال عن ماذا تسأل وعن من وما موقف النزيلة، أو لنكُن أكثر وضوحًا، السجينة، وهنا يطرح السؤال نفسه: ماذا تريد من نيفين جودة، ولماذا تريد مقابلتها؟

- أسباب شخصية لا دخل لك بها.

يسكت محسن لهوانٍ قبل أن يستكمل السؤال

- هل كانت رفيقتك؟

- لا دخل لك، هل تستطيع أن تجعلني أقابلها أم لا؟

- إذا كنت تريد مقابلتها فاستخرج تصريحًا أمنيًا وقابلها، ما الذي يجعلك تطلب هذا مني في مقهى خارج المستشفى.

ينفعل أحمد ويظهر وجهه الحقيقي الغاضب:

- أنت تعرف كل شيء ولا أعتقد أنك جئت إلى هنا لتسأل تلك الأسئلة، أنت هنا لأني أريد خدمة وأنت من المحتمل أن تكون قادرًا على تلبيتها مقابل ثمن، هل تستطيع أن تجعلني أقابلها أم لا؟

- بالطبع أستطيع.

- وما الثمن؟

يصمت محسن لثوانٍ قبل أن يرد:

- أحتاج إلى ترتيبات فهي موجودة في مكان محفوف بالمخاطر والحماية، سأقوم بعمل الإعدادات وبعد ذلك الحسابات وأقول لك عن التكلفة.

يقف أحمد ناهيًا اللقاء في سرعة:

- إذن أنتظرك.

تبادلا أرقام الهواتف المحمولة وسار أحمد مبتعدًا عن القهوة إلى سيارته، كان يعلم أن كل هذا قد يكون كمينًا من الشرطة، ولكن اليأس الذي يسكنه يجعله يتعلق بأي شيء، هذه فرصته الوحيدة والأخيرة.

الفصل الخامس: جنة الأفعى

(نبتلع السُم طواعية ونكفر عندما لا يُتم الله الشفاء)

*

التجربة الثانية

اسم المتطوّع: رويدا علاء

السن 20 سنة، طالبة بكلية الطب ولاعبة ألعاب فيديو ذات خبرة، شاركت في عدة مسابقات ألعاب، إلى جانب أنها تمتلك قناة على اليوتيوب، كسرت حاجز النصف مليون مشترك في العالم العربي فقط، شاركت في التقديم العالمي لإحدى ألعاب الرعب على نظارات الواقع الافتراضي، وعلّامة في البث الحي لألعاب الفيديو.

يبدو على مينا التوتر هذه المرة، ليس فقط لأن المتطوع فتاة، ولكن لأنه هو نفسه خاف من الكابوس الثاني عندما حُكي له ورفض مشاهدة التجربة الأوّلية مكتفيًا بمشاهدته مع المتطوعة التي ستؤديه، بالرغم من هيئة رويدا التي تناسب شخصيتها من ملابس شبابية قصيرة وكأنها خرجت من كارتون إينمي ياباني أو تدرج للألوان النيونية بشعرها ووشم التنين الذي يدخّن بايب على رقبتها والتعالي الذي تتعامل به وكأنها كيت وينسلت جاءت للتجربة، لدرجة أنها طمأنت مينا عندما شاهدته متوترًا. سألها الأسئلة الاعتيادية الخاصة بصحتها، فردّت أنها بصحة جيدة ولا شيء يعوق التجربة وتتمنى أن تكون التجربة هي الجاهزة لرويدا الشهيرة بـ (رودي)، هذه الثقة الزائدة جعلت مينا يعرف أنه مقبل على كارثة.

في البداية ارتدت الخوذة وهي تتهكم على تصميمها غير الأنيق، وعندما سمعت صوت المعايرة والضبط بدأت تضحك وهي تمزح بخصوص انطلاق الصاروخ، ظهرت لها أزرار التحكم باللعبة كإرشادات، يضع مينا يد التحكم بيدها فتقبض عليها بتحدٍ وتداعبها بأصابع خبيرة، ثم تبدأ اللعبة..

تجلس على كرسي في غرفة حائطها غريب الشكل وكأنها تجلس داخل كعكة عيد ميلاد، فالجدران كدرجات الكعك الداخلي ويسيل منها كريمة بيضاء تسيل من الجدران ببطء، والغرفة مضاءة بمجموعة شموع في منتصف الغرفة على شكل عشر دوائر متباينة الأقطار داخل بعض في مركزهم، توجد هدية مغطاة في علبة ملوّنة بالأحمر والأسود، تقف رودي في الكابوس وتسير وهي في ذهول من واقعية ما حولها لدرجة أنها تشعر أنها تشم رائحة فانيلا كريمة الكعك اللزِجة، تسير ناحية الشموع وتلتقط العلبة التي تُفتح تلقائيًا حينما رفعتها من على الأرض، بداخلها كاميرا قديمة من ذات الفلاش الخارجي تشبه الطبق الألمونيوم، في نهاية الغرفة هناك باب مكتوب عليه (الظلام هو النور)، تتجه للباب فيُفتح وحده وتسير هي إلى غرفة حالكة الظلام، وعندما تضع قدمها في الغرفة ينغلق الباب خلفها بصوت عالٍ فيصير كل ما حولها هو السواد وتبدأ بالتوتر، معها الكاميرا فقط، ففهمت أن كل ما ستوفره لها الكاميرا هو إضاءة الفلاش لثانية يجب أن تعرف منها إحداثيات الغرفة لتعرف الطريق للعبور منها، ورغم أنها لعبة ولن يحدث شيء، ولكن التوتر ينهش منها ما ينهشه في بطء بينما هي تستعد لتأخذ أول صورة لها لعبور الطريق..

كليشششش

تتجمد أطرافها في رعب، هي في غرفة كبيرة، ولكن هذا ليس المهم، هناك عدة اشخاص في الغرفة معها يرتدون ملابس احتفال بطراطير عيد ميلاد وهم بلا وجوه المرعب أن الشخص الوحيد بوجه مبتسم يقف على بعد مترين منها مرتديا ملابس مهرج وينظر لها، ولكنها لا تسمع صوت حركة فتعرف انه مازال واقف امامه فهي تستطيع سماع صوت اقدامها، تسير مبتعدة بهدوء وتلاحظ أن الكاميرا تأخذ عشر ثوان لتشحن وتستعد للفلاش القادم، تسير ببطأ شديد وهي لا تسمع أي شيء يتحرك سواها،

كليشششش..

الموجودون تحركوا، ليس ناحيتها، ولكن بشكل عشوائي، هذا الترتيب لم يكن الموجود منذ ثوانٍ، الرعب أن المهرج ليس موجودًا في الإطار الذي صورته، ووقتها أدركت هي الحقيقة الصعبة.. إن المهرج يقف وراءها الآن بالضبط، وهي تسمع الآن صوت أنفاس قوية من على بُعد متر في ظهرها، ويبدأ الرعب..

تلتفت ناحيته وتسير عدة خطوات بظهرها لمنتصف الغرفة.

كليشششش..

هو ما زال مكانه يقف وينظر إليها في جمود، بينما الأشخاص في الغرفة عديمي الوجوه التفوا حولها ممسكين بأيدي بعضهم البعض وكأنهم يحتفلون بها، ولكنها الآن أصبحت محاطة بهم من ناحية وهي لا تعلم ماذا يقع خلفها، الآن عاد الصمت والظلام، عليها

الالتفاف والسير الناحية الأخرى الآن، ولكنها لا تعرف ماذا وراءها.

كليششش..

هناك باب في نهاية الغرفة، بالرغم من أنه على شكل كارت ذاكرة إلكتروني إلا أنه واضح أنه باب وعرفت الطريق إليه عبر الموجودين، وعاد صوت الأنفاس قريبًا منها في الخلف مرة أخرى. تقرّر السير ناحية الباب في هدوء فهي لا تعرف ماذا سيحدث إذا ركضت، ستسير عدة خطوات ثم تلتفت وتضرب فلاشًا لتجمّد المهرج، تسير خطوة فالثانية وتبدأ تسمع صوت أنين من الموجودين، أنين ثابت لا ينقطع، كلما أخذت خطوة يرتفع ويتحول إلى أنين مرعب، ولكن لا عودة. تسير بخطوات ثابتة والأنين يتحول إلى حشرجة حتى تقترب من الباب وتلتفت في حركة مفاجئة.

كليششش..

يقف جميع من في الغرفة أمامها ويرفعون سكاكين قطع التورتة، وهناك شخص في المنتصف بدون رأس يقف ماسكًا كعكة عيد ميلاد في لقطة تجعلها لا تستطيع أخذ نفسها أو بلع ريقها من فرط الرعب، والأدهى أن الباب خلف ظهرها وبينها وبينه صوت النفَس القوي يقف يصدر بالضبط من خلفها لدرجة أنها شعرت لوهله بهواء يحرك شعرها، تتجمد والنفَس يعلو ويهبط والظلام يحيط بها وقلبها سيتوقف إذا تحرك أي شيء، أو سمعت صوتًا ما، تلتفت ناحية النفس الغليظ.

كليششش..

تجد المهرج يفتح لها باب الغرفة ويدفعها لتسقط في الغرفة التالية التي أيضًا غارقة في الظلام.

المرحلة الجديدة من الكابوس، تقف تلقائيًا، الكاميرا مشحونة، ستتحرك بسرعة لإنهاء هذه اللعبة المرعبة.

كليششش..

صوت صرخة طويلة تنتفض لها رويدا وتتحرك بسرعة وهي تسمع صوت شخص ما يزحف داخل الغرفة ناحيتها ثم يقف..

- أين أنتِ؟ أين أنتِ أيتها العاهرة؟ إني أشم رائحتك القذرة، أين أنتِ؟

تصرخ مرة أخرى، صوت شابة محشرج ومرعب، تقف في مكان في الغرفة، تحتار رويدًا ماذا تفعل بالغرفة، ما الحل للخروج منها؟ الفتاة تصرخ كل عشر ثوان، تقرّر رويدا أن تتعامل معها كالمهرج.

كليششش..

تضرب الفلاش ناحيتها فيسقط على جسد فتاة شِبه عارية بملابس داخلية وجسد ممتلئ بالجروح، إلا أن مكان عينيها هناك دودتين حمراوتين كبيرتين تطلان منه، وفمها تنزل منه سِنة واحدة طويلة وعريضة تغطي ذقنها وتزحف على يديها وقدميها اللتين تنزفان بغزارة ناحية رويدا التي تجري إلى نهاية الغرفة في هلع، ويقف الشيء المرعب مرة أخرى وتقف رويدا قبل أن تصرخ، وبعد الصرخة تضحك..

- رودي، رودي، تعالي إلى النور لكي نرقص سويًا.

يضرب الرعب رويدا أن هذا الشيء يعرف اسمها وهو يضحك، تقف وهي لا تستطيع التفكير كيف تهرب تلك المرة، تحاول الفرار من الشيء المرعب بأن تجد الباب، تفهم بعد عدة محاولات أن هذا الشيء يتحرك ويقف في نفس المكان الذي تضرب منه الفلاش بالضبط ولا يتحرك مرة أخرى إلا بعد الفلاش التالي..

- تعالي يا رودي، سأحكي لك عن كيف تستعيدي ما فقدتيه.

كليششش، كليششش، كليششش..

بعد عدة محاولات تجد الباب يُفتح تلقائيًا وتجد نفسها في الغرفة الثالثة، هذه المرة غرفة مضيئة بشموع، هي ليست غرفة، بل هي بهو قصر وأمامه سلم طويل إلى الأعلى، في نهاية هذه السلالم هناك صورة كبيرة لأفعى على شكل حرف ما، وأمامها السلالم الطويلة إلى الأعلى ممتلئة بالأفاعي التي تتحرك ذاهبة وعائدة على كل درجة من السلم بسرعة كبيرة، تتأمل الأفاعي، إنها حقيقية وصوت فحيحها أعلى من أي شيء، رويدا تكره الحيوانات بشكل عام، فماذا عن الأفاعي، يرتفع التوتر إلى أعلى درجاته، ولكنها ستنهي المهمة، كيف توقف الأفاعي؟ بالطبع بالفلاش.

كليششش..

تقف جميع الأفاعي متجمدة أمامها، وقتها تشعر أن كل شيء انتهى، تصعد الدرجات غير منتبهة أن الأفاعي تقف لمدة عشر ثوان ثم تتحرك مرة أخرى، بينما هي تركض ناحية النهاية تجد الأفاعي فجأة تحركت فعرفت أنها وقعت في الفخ، وشعرت أن هناك أفعى

حقيقية تمسك يدها، فصرخت. كان هذا مينا يأخذ منها ذراع التحكم وجون يخلع عنها الخوذة، هناك دماء تسيل من أنفها ويديها ترتعش، لم تصرخ أو تبكي، ولكنها أصيبت بصدمة جعلتها تجمدت مكانها وهي ترتعش.

- واضح أنها أخذت مضاد اكتئاب جعلها تسيطر على نفسِها قبل التجربة، ولكنها الان انفجرت بالكامل.

يقولها مينا وهو يحاول تهدئتها قبل أن تتقيأ وتبدأ في نوبة هذيان، كل ما احتملته خلال الكابوس جعلها على وشك الانفجار، فعندما انهارت انهار كل شيء داخلها.

- هل ستموت؟

يسأل جون في عصبية، فيرد مينا:

- ستكون بخير إذا مرت الخمس دقائق القادمة عليها دون تطورات، لا نحتاج إلى مستشفى، إن معي كل احتياجات الإسعافات الأوّلية لتلك الحالات، ولكنها احتملت كثيرًا.

تهدأ تدريجيًا وما زالت الرعشة مستمرة في يدها، والزبد يسيل من فمها كالمجذوبة، خمس دقائق وبدأت في البكاء.

- الآن نحن بخير.

التقطا أنفاسهما سويًا، ومينا يسأل: كيف مرت نيفين بكل هذا وما زالت على قيد الحياة؟ والأدهى كيف تصنع تجربة مهما كانت غير طبيعية مثل هذه الكوابيس الرهيبة؟ إلا إذا كانت حدثت لشخص استثنائي جدًا، شخص نادر، بل قد يُقال إنه أسطوري مثل نيفين

جودة.

***

- لقد تأخرت كثيرًا.

- أعلم، كنت مشغولًا هذه الفترة.

- بماذا؟ كنت تكتب كتاب كوابيس دكتورة نيفين.

يبتسم الدكتور مينا لنيفين وهما جالسين بنفس الطريقة في غرفتها بالمستشفى، نفس الطريقة التي يجلسان بها سويًا كل مرة، ثم يرد:

- شيء من هذا القبيل، لكن دعيني أسألك: هل كل ما فعلتِه في كل مرة كان يبطُل الكابوس.

- بالتأكيد، نهائيًا.

- حتى الحادثة التي أنتِ هنا بسببها؟

تصمت وتبتسم تلك الابتسامة الشنيعة:

- بالتأكيد، ولكنهم كانوا يستحقون، حتى الطفل كان يستحق هذا المصير.

- لماذا؟

تلتقط نفَسًا طويلًا يسحب معه الابتسامة من شفتيها وتهم أن تحكي قبل أن تعود الابتسامة للحظات:

- هذه المرة ستكون القصة مجانية، دون أن تدفع شيئًا.

ثم تعود الابتسامة لمكانها وتمسك بكوب الماء وتضعه أمامها:

- أعرف أحمد منذ فترة قبل الزواج، هو بائع بارع ومتحدث لبِق وجيد المظهر، يمتلك العديد من المزايا الظاهرية وأنا كنت أعلم ذلك، تقرّب مني وكنت أتعجّب من هذه الخطوة؛ فالكل يعلم من أنا وأني انطوائية للغاية، والمعروف أني أمتلك تاريخًا من المشاكل النفسية، وعرفت أنه يعرف ذلك، ومع ذلك اقترب مني وبدأ يأخذ خطوات جادة تجاهي.

لم أمنعه، لا أعرف لماذا، ولكن يبدو أن الحصون التي نبنيها حول جزيرتنا المنعزلة لا تكسرها نيران الحرب المكثّفة بقدر من انتظام ضرب الأمواج لها لسنوات، اعتقدت أنني ما زلت صلبة، ولكني اكتشفت أنني عارية المشاعر لأنني لم أمر بأي تجارب منذ وفاة أمي من عدة سنوات، فكنت مؤمنة أن الأسوار ما زالت موجودة ولكنها كانت قد ذابت منذ زمن، فشعرت بالراحة والحنين لتجربة جديدة بالرغم من أنني كنت أعرف أن وراء كل هذا شيئًا ما، حتى أقحمت مشاعري الحمقاء بسؤال قاتل: ماذا إن لم يكن وراء هذا أي شيء؟ ماذا إذا كان هناك شيء حقيقي اسمه السعادة وأني قد أجدها؟ سايرته حتى وجدت نفسي أقبل به دون معرفة أهلي.

أبلغت أبي برسالة وأنا في طريقي لشهر العسل، ردّ عليّ وقال: عندما تعودين سنتحدث.

قضيت فترة من الإيمان الكاذب لما تلته عليّ جذور مشاعري الجافة التي وجدت طريق الماء فأغرقتني معها. غدنا من شهر العسل الذي مرّ ليعود للأيام المذاق المعتاد، أشك فيه حتى بغرض

تكذيب مشاعري، نام فأمسكت هاتفه وفتحته، وبكل بساطة اكتشفت من رسائله مع زوجته كل شيء، خرجت الرسائل لتصفعني صفعة لم تلبث في وجهي منذ زمن، فاستيقظت مرة واحدة من كل شيء وعدت بحالتي النفسية إلى الوراء مائة خطوة، قررت أن أستغله وأذله، كان مذهولًا ومطيعًا جدًا، كنت أعتمد أنه سيطلقني ويذهب، ولكنه كان لديه أمل في اكتمال عملية النصب والسرقة، حتى ضعقت يومًا ما بشيء لم أكن أضعه في أي حسابات.. الحمل.

ترتشف كوب ماء أمامها مرة واحدة وتضعه وهي تسرح بعينيها في الغرفة:

- لم أصدق في البداية ولم أفهم ما يحدث لي وما يحدث في جسدي، ولكنه كان شيئًا مثيرًا وتجربة جسدية جميلة لدرجة أنني قررت أن أستكملها لعلها تأتي بالسعادة وأنسى كل هذا. الأمل أكبر قاتل في تاريخ البشرية كما يقولون، ثم انتهي كل شيء، اعتقدت أنه القدر في البداية، ولكن لم يكن كذلك.

تصمت لثوانٍ ثم تستطرد:

- هذا الطفل كان يجب أن يموت؛ لأنه لا يستحق أن يتربّى مع وحوش مثل أبويه، زوجته هي من كانت تدفعه لأنه ضعيف الشخصية، وتستحق ذلك أيضًا. في هذا العالم الأشرار لا يدفعون الثمن أبدًا، أنا جعلتهم يدفعونه غاليًا.

- وكيف كان الكابوس؟

تعود الابتسامة:

- الآن تتحدث، كالعادة لا يهمك شيء سوى الكابوس، الحديث مجاني، ولكن للكابوس ثمن.

يصمت لثوانٍ وهو يبعث برسالة على هاتفه الشخصي، خمس ثوان ويظهر شوقي على الباب، ليتحدث مينا:

- نظرًا لحالتك وحرصًا عليك، سيتم نقلك إلى عنبر العَزْل تأكيدًا على التقرير الذي أرسلته وأنقذك.

تقف في توتر من دخول شوقي المبتسم ابتسامة مريبة:

- هذا غير منطقي، أنا أفهم هذا، العزْل إذا كنت شخصًا بحالة عقلية لا يمكن السيطرة عليها.

- وماذا تعتقدين أني سأكتب عنك لأبعدك عن المحاكمة؟ إنك جيدة في لعب التنس هنا بالمستشفى!

لم تكن تلك نيته، هو قرر منذ الصفعة الانتقام منها والسيطرة عليها بصورة كاملة، في العزْل يمكنه فِعل ما يريده بها، ويمكنها الصراخ اليوم كله ولن يتغير شيء، هي الآن مجنونة في وجهة نظر القضاء.

يسير شوقي البطاح ناحيتها ويبتسم لها، ثم يمسك ذراعها في قوة ويجذبها وهو يقول:

- هيّا بنا يا دكتورة، الغرفة ليست بعيدة عن هنا.

تسيطر عليها مشاعر مضطربة، ومع قبضة شوقي تشعر أن لا فائدة من المقاومة، ولكن شعور المؤامرة هو ما سيطر عليها، ولكن لا يوجد شيء باليد الآن.

***

- مساء الخير يا جون، ومساء الخير دكتور مينا.

آدم خلف مدير مشروع infinite dream عبر الإنترنت يرحّب بجون ومينا ونبرة سعادة تظهر في صوته، يردان عليه التحية فيبدأ بعدها في الحديث:

- بعد التجربتين ودراستهما وعرضهما على المموّل والحديث معه، يمكنني أن أقول بكل سعادة إن التجربة نجحت، ألف مبروك، والفضل لجون في البداية، ولكن كل الشكر لأفكار دكتور مينا العبقرية والاستثنائية.

يرد مينا:

- شكرًا جدًا، وسعيد بالتعاون معك ومع باقي الفريق.

- وبالمناسبة دي دكتور مينا، المموّل يريد أن يشكرك بنفسه.

- اشكره لي جدًا ونحن في خدمته دائمًا.

- السيد مصعب سيدخل معنا الآن ليشكرك، قل له ما تريد.

ينظر مينا إلى جون نظرة المنتصر الذي يرد عليه بتصفيق هزلي كنوع من الدعابة، نصف دقيقة ويظهر متصل آخر في الاجتماع عبر الإنترنت، وتظهر صورته، ثلاثيني بهيئة خليجية للغاية من شعر أسود ثقيل وناعم وشارب خفيف ويرتدي جلبابًا أبيض أنيقًا ومهندمًا.

- مساء الخير.

يرد الجميع التحية قبل أن يتحدث:

- أين الدكتور مينا؟

- أنا هنا تحت أمرك سيد مصعب.

يبتسم ابتسامة وقورة للغاية ويتحدث بلهجة هادئة:

- من الطبيعي أن يتم تطوير تطبيق كهذا لأن هناك العديد من الشركات حول العالم تسابق الزمن للوصول إلى تكنولوجيا أفضل وأكثر تطورًا، في النهاية التطبيق هو أداة، فرشاة وألوان، المهم ماذا نرسم؟ وعملك يا دكتور هو لوحات رفيعة المستوى وأفكار استثنائية لم أرها في العالم الغربي حتى، وهذا يؤكد أنني لم أخطئ عندما طلبت أن تكون الأفكار مصرية، مصر لا ينضب خيالها أبدًا طالما امتلكت الأدوات.

- ممنون جدًا أن الأفكار لاقت قبول سيادتك سيد مصعب.

- جدًا، أنا أعشق هذا النوع من الإثارة، دعني أسألك: هل مصدر هذه الكوابيس إنسان حقيقي وعلى قيد الحياة؟

- نعم سيد مصعب.

يصمت ثواني مصعب ويتحدث مينا:

- بالطبع نظرًا لسرّية البيانات لا يمكنني أن أفصح عن هويته، ولكنه محجوز على ذمة جريمة قتل ومريض بانفصام حاد، وهذه الكوابيس تلازمه، وهو تحت إشرافي في العلاج.

- أتمنى أن أقابل هذا العبقري يومًا ما.

يتعجب مينا من رد فعل هذا المصعب الذي يبدو أنه متيم بعمل نيفين جودة.

- كنت أتمنى أن أقول لسيادتك إنه إذا تعافى يمكنك التواصل معه، ولكنه حالة مستعصية للغاية، حتى أن تلك الكوابيس لا تخرج منه بسهولة وتحتاج وقتًا طويلًا من العلاج حتى يُفصح عنها.

- أتفهّم هذا، ولهذا أشكرك.

ثم يصمت مصعب ثواني ويستطرد:

- ستكون هناك مكافأة استثنائية مني أنا شخصيًا لك يا دكتور مينا على هذا العمل البديع، ولكن هذا مقرون بشرط، أريد كابوسًا آخر منك، ويجب أن يكون -مثل السابقين- استثنائيًا.

- تحت أمرك سيد مصعب، اعتبر أن الكابوس في حوزتك.

- وأنا في انتظاره، كما أن الجائزة في انتظارك، المرة القادمة يجب أن تحدّثني أكثر عن مريضك فهذه التفاصيل تجعل الأمر شديد الخصوصية وجذابًا للغاية. شكرا لك يا آدم، وشكرا لكل أعضاء الفريق، السلام عليكم.

ويختفي من الشاشة دون انتظار رد، ليتحدث آدم:

- دكتور مينا، هل سيمكنك أن تحقّق المطلوب؟

ينظر له مينا ويبتسم:

- بالطبع، اعتبر أن الكابوس جاهز خلال أسبوع.

لا يعرف ماذا سيحدث مع نيفين هذا الأسبوع، ولكن لا يوجد حل

آخر سوى التهور والبحث عن مكافأة مصعب بأي طريقة، غير مهم الطريق، المهم الوصول.

***

- هل تشعر بالسعادة معها يا أحمد؟

- ما هذا السؤال؟ أنتِ تعرفين لماذا تزوجتها في الأساس، بل أنتِ من جرّأني على ذلك.

- أعرف، ولكن الفكرة شيء والتطبيق شيء آخر، بعد أن تزوجتها رسميًا أشعر بالندم على هذا القرار، أنا أتحدث إليك بصراحة، أشعر بالخوف.

كان طبيعيًا أن يكون هذا هو شعور نادية زوجة أحمد بعد نجاح خُطتهم وزواجه من نيفين، بل هو التصرُّف الطبيعي لأغلب النساء باتخاذ قرار عاجل وحاسم بشأن ما تحت التأثير العاطفي للشهوة (شهوة الجشع وحب المال)، ثم عندما يتم اتخاذ القرار تنطلق أبواق وطبول حفلة التردد والتوتر، عندما تذهب العاطفة يبقي العقل، والعقل هو ضحية تعشق الانتقام من ضحاياها.

- من ماذا؟ لا تقلقي طالما كل شيء يسير حسب الخطة.

- أنا أعرف الخطة، ولكن تأثيرها عليّ مؤلم جدًا.

- تحمّلي قليلًا وسنصل إلى ما نريد، دعِي القلق جانبًا، وأنا أعدك أن كل شيء سينتهي في أقرب وقت ممكن.

الحقيقة أن كل مخاوف نادية كانت حقيقية، أحمد الآن يتمنى

أن تبقى نيفين زوجته لأطول وقت ممكن؛ لأن لديها مزايا كثيرة ومريحة وهادئة بعيدًا عن زوجته المتطلبة والمادية للغاية، هو يحب نادية، ولكنه حب فاتر كحبّ الأخوات والأصدقاء الذين تحبهم وتسعد بلقائهم مرة أو مرتين في الأسبوع لعدة ساعات، ولكن البقاء معهم أكثر من ذلك يصبح شيئًا مملًا، أو يمكننا تسمية ذلك باختصار "حب المتزوجين" منذ فترة.

لكن نيفين شيء آخر؛ هادئة لا تتحدث كثيرًا ولا تطلب شيئًا، يعود إلى المنزل لا يسمع شيئًا في وجودها سوى صوت ماكينة القهوة وهي تعدها له، وصوت الميكروويف للطعام، وعدة كلمات منها مختصرة للغاية بالنسبة لشخص يعمل بجد طوال اليوم، هذا أقصى أحلامه، ومشاعر نادية أيضًا ظهرت في كلماتها لأنها بدأت تشعر بالاختلاف في طريقته وتفاصيل وجهه عند العودة إليها في المنزل، بدأت تشعر أن السحر انقلب على الساحر وأن أحمد لن يترك نيفين كما كانت تعتقد وأنه يشعر بالراحة التي لا تعرف كيف تجعله يشعر بها، كانت لا تنظر سوى للأشياء التي سوف تستطيع الحصول عليها بالمال الذي سيجلبه أحمد من اقترانه بنيفين، وهي تعتقد مثل كل من قبلها أنه لا يوجد ثمن، والآن صارت شكوكها التي لا تستطيع إثباتها تنمو كاللّبلاب داخلها وترتفع وتلتف حول كيانها وهي بالطبع لا تستطيع إثبات شيء أو الاعتراض عليه.

عدا أحمد، نيفين، ونادية نفسها، الجميع يعرف ماذا سيحدث.

بدافع الغل والغرور والدفاع عن الكرامة ليس أكثر، ستقوم نادية بإرسال رسائل من مجهول إلى نيفين أن أحمد نصاب ولا يحبها، بل

سيستخدمها لفترة ثم يتركها، وحثّتها على قراءة الرسائل بين أحمد وزوجته وستعرف ماذا يدور.

من ناحية أخرى نيفين التي تؤمن أن السعادة ليست المكتوب لها كانت تحاول لمرة وحيدة أن تتجنب الخروج من هذا الحلم، كانت تريد أن تمتد تلك السعادة، حتى لو كانت زائفة، فتستمرها لأكثر وقت ممكن، ولكن نادية أصرت على طردها من هذا الحلم، تتعمّد أن ترسل رسائل إلى زوجها في وقت متأخر وهي تعرف عاداته في النوم متأخرًا أملًا في شك نيفين.. وهو ما حدث.

قرأت نيفين الرسائل لتعود إلى نقطة الصفر، وتبدأ في إدخال الجميع حلقة الجنون.

لهذا عندما كانت نادية مقيدة تنظر إلى ابنها الذي يحتضر والجنون يعصف بذهنها، عرفت وقتها أن لها يدًا فيما يحدث، شعرت بأنها سبب هذا المشهد القاتل، وأن بوادر النجاح التي كانت تشاهدها في الأم وحيرة زوجها من جنون زوجته الثانية قد تنتهي بنهاية مأساوية، ولكنها لم تكن تعرف أن النهاية ستكون بتلك السوداوية، بأن الغِل الذي حملته من غيرتها على زوجها سينهيها هي وابنها بصورة بشعة لتبدأ حلقة من غِل أكبر سوف تنتهي بانتقام جديد.

***

يصل أحمد إلى الموقع الذي أرسله له محسن حسني في حلوان قُرب المغرب، بالقرب من موقف بمنطقة المعصرة بحلوان، المنطقة التي يسكن بها محسن، لم يكن يعرف أنه في يوم من الأيام سيكون عليه زيارة مثل هذه الأماكن الشعبية، ولكن لا يوجد شيء بيده،

هدفه الأساسي جعله يكسر حواجز كثيرة، والدافع النفسي أكبر من أي اعتبارات اجتماعية لم يكن ليجتازها دونه، هناك حِمل ثقيل يسحق روحه كل يوم وعليه أن يحطّمه ليتنفس مرة أخرى، والحمل يجبره على التعامل مع محسن هذا الذي فيما يبدو سيستغله بطريقة أو بأخرى، وهذا اللقاء حتمي في ظل رفض محسن لأي تواصل تليفوني خوفًا من أن يسجل له أحمد مكالمة أو رسائل، كل ما أرسله له هو اسم المريضة، وها هو يصل بهيئته التي تناسب هذا المكان الغريب، ويشير إليه إشارة تحية بلهاء ثم يركب السيارة بجانبه..

- مساء الخير يا أحمد بيه.

- مساء النور يا محسن باشا، قُل لي ماذا عرفت؟

- الموضوع ليس سهلًا نهائيًا يا أستاذنا؛ المريضة محجوزة في قسم السيدات تحت حماية الشرطة، والأدهى أنى عرفت صباح اليوم أنهم أرسلوها إلى العزل.

- العزل؟!

- هي غرف في نفس المستشفى ونفس المبني، ولكنها غرف مصممة للمنتهي صلاحية عقولهم ويفكرون في الانتحار أو قتل الآخرين، وحتى تفهم صعوبة الموقف فكل عنبر له باب حديدي يغلَق مساء كل يوم ويُفتح فقط لمرور الطبيب أو التمريض، هذا يعني أن لا أحد يمكنه الخروج أو الدخول لهذا المكان، بالإضافة إلى أنها محتجزة على ذمة قضية، أنت عرفت من الاستقبال الطريقة الوحيدة لرؤيتها، ماذا تريد منها؟ يجب أن أعرف لكي أفهم المطلوب.

ينظر أحمد إلى الموقف المكتظ أمام سيارته في هدوء قبل أن يرد:

- أريد شيئًا ما أنت لا تريد أن تتورط فيه.

يفهم محسن من نظرة عيون أحمد ما يريده، فيبتسم ابتسامة دهشة وهو يرد:

- بالرغم من أنه ليس من شأني، لكن هذا أغبى ما سمعت في حياتي يا أستاذنا، تريد الانتقام من شخص في مستشفى أمراض نفسية محجوز وحيدًا في العزل لأنه مجنون لدرجة أنه لا يستطيع البقاء في غرفة مع أشخاص أو حتى وحيدًا وداخل مستشفى حكومي منعزل، وليست حتى من المستشفيات الرئيسية، أن يبقى هناك فهذه قمة الانتقام، الموت راحة له.

لا ينظر له أحمد بالرغم مما قاله ولا يلتفت للإهانة قبل أن يستطرد محسن:

- علي أي حال، أنا رجل صريح، ولأكون أكثر صراحة، حماقتك بالنسبة لي مصلحة، أنا في النهاية لست من سيحاسبك إذا نجحت أو يدفع الثمن إذا فشلت، أنت وحدك من ستحاسِب على المشاريب، والمشاريب ستكلفك ثلاثمائة ألف جنيه.

يلتفت له أحمد بغتة:

- مقابل ماذا كل هذا المبلغ؟

- مقابل دخولك المستشفى ووصولك إلى العنبر ووقوفك أمامه في موعد النوبة الليلية ومعك خريطة بمكان الغرفة، المبلغ نقدي أستلمه قبل العملية بليلة في حقيبة يد، هذا المبلغ مقسّم بيني وبين

فردي أمن سيسمحان بدخولك ويسهلان الوصول إلى العنبر.

- مبلغ كبير جدًا.

- لا يوجد فصال، فكّر ومعك رقمي، وأنا واثق أنك سترد بالموافقة.

يفتح محسن باب السيارة قبل أن يسأله أحمد:

- وما الذي يجعلك واثق في موافقتي؟

يضع محسن قدم خارج السيارة ويلتفت لأحمد لثانية:

- بجانب فكرة الانتقام الحمقاء، أنت بائس بشكل كافٍ ليبدو عليك أن ليس لديك اختيار آخر.

ويترك السيارة ويسير ليختفي في مكان ما بعد الموقف تاركا أحمد وهو لا يفكر في شيء سوى كيف سيوفر المال، وفيما يحتاجه لتنفيذ خطة الانتقام، وكل الإهانات وما قاله له مرت من أذنه إلى الأذن الأخرى دون البقاء لثانية في عقله، طالما يعتقد الشخص أن لا أحد يعيش ما في داخله يصبح كل الكلام هراء، والهراء هو ما سيحدث بعد ذلك.

***

تجلس نيفين في غرفتها الجديدة بالعزل، الغرفة لا تختلف في كآبتها عن السابقة إلا في نوع الأرضية وتصميم الفراش المثبت في الأرض ونوع المرتبة بالطبع إلى جانب شكل الحوائط المعزولة، غُرف العزل أو ما يسمى وحدة العناية النفسية المركّزة هي غرف مصمّمة لشخص عنده الاستعداد للانتحار أو إيذاء أي شخص آخر، لذلك لا

يوجد بها أي شيء متحرك، وأصغر من الغرفة التي كانت بها. نيفين التي أمضت أكثر من شهر في المستشفى لم تشعر فيها بأي قلق أو توتر لأن وجودها بها أفضل الحلول من وجهة نظرها، كانت تجلس لساعات لا تفكر في شيء، نائمة أو مستيقظة عقلها خاوٍ أو هذا ما كانت تقوله لنفسها ليسبب لها الراحة، ولكن الحقيقة أنها كانت تفكر طوال الوقت، طول الوقت تُمضيه في تذكُّر أحمد والزواج والأحداث التي تلتها، حتى الحمل وضياع الطفل الذي كانت تتمنى لقاءه، لم تكن تشعر بالظلم، بل كان بداخلها شعور بأن هذا العالم البغيض لن يستطيع العيش فيه إلا الأشرار، وتلوم نفسها دائمًا على سذاجتها المتكررة التي تجعلها ترتبط بمشاعرها الإنسانية في ظل أن فقط من يخلع رداء الإنسانية النجس هو من يستطيع الحياة ويستمتع بها، تلوم نفسها على لِين القلب الذي جعلها ترتبط بأحمد، والذي أعاد إليها شيئًا كانت دفنته منذ فترة.. كابوس جديد.

لكنها الآن تشعر بالقلق الشديد، فبداية كل الأحداث المأساوية في حياتها هي ارتباط بشخص ما لسبب ما، والآن ارتبطت بمينا بشكل أو بآخر، لم تعرف أن لعبتها معه والتي كانت بغرض تسلية الوقت وأن تبقى في المستشفى بناء على توصيته ستجعلها مهمة بالنسبة له، وأنه يريد استغلالها ككل من استغلها في قصة حياتها، كانت تعتقد أنه مجرد دكتور عادي لا شيء آخر، ولكن يبدو أنه صاحب مصلحة، وهنا تبدأ كل الشرور.

والتاريخ يقول: إن صاحب المصلحة يطلبها دائمًا في البداية برفق ولِين، ثم يستجدي وينحني على الأرض بنصف ركبة، وبعدها يصبح لحوحًا، ثم إذا سنحت الفرصة وأخذ المبادرة ينكشف الوجه

الحقيقي ويبدأ العنف، منحدَر الحقارة عند البشر في الحاجة، والذي يظهر مدى قذارة الأطماع والشهوات التي عاشته والذي تعرف أنه ككرة الثلج على الجبل تتضخم وهي تنحدر إلى أن تصبح عملاقة، وعندما تصل الأرض وتنفجر، يولد الكابوس، وعندما يولد الكابوس، يضغط ويضغط ويظل يضغط على نيفين لإطلاق سراحه من رأسها، والكابوس يتطلّب التضحية.

في لحظات وجودها في غرفة العزل بدأت كل تلك الأفكار تتدفق، لم تكن خائفة من الكابوس؛ فمع الضغط النفسي والتوتر الذي تعيشه بسبب مينا وحاجاته هي تعلم أنه قادم لا محالة، ولكن المشكلة ماذا سيطلب في التضحية، أو بمعني أصح، من؟

الفصل السادس: عقار المرايا

(حتى من يبحث عن الحقيقة يتمنى في النهاية أن يجد الوهم)

*

- أنا عندي الحل يا دكتور.

ينظر مينا إلى شوقي في تعجُّب وهو يجلس أمامه على المكتب حاملًا كوب الشاي الأسود، كان مينا في الأساس يجلس صامتًا يفكر في نيفين والكابوس الجديد، لا يريد لها التحكُّم وإخضاعه لأنها مريضة، ولا يعرف ماذا ستطلب منه المرة القادمة، ولا يعرف في الأساس ماذا سيتغير داخلها بعد وضعها في الغرفة الجديدة، يريد السيطرة عليها لتحكي له الكابوس الجديد كالعادة دون خسائر.

وبينما هو يجلس وبجانبه شوقي كالعادة يقاطعه دون انتظار بتلك الجملة وكأنه يقرأ أفكاره، فيرد عليه مينا:

- حل لماذا يا بطاح؟

- حل للدكتورة نيفين.

يعتدل مينا في جلسته وهو ينظر لشوقي باستهزاء:

- سأفترض أنك تعرف فعلًا بماذا أفكر، ألقِ عليّ حلك وإذا كان صحيحًا سنتناقش في الثمن.

يعرف مينا أن شوقي لن يفعل شيئًا دون ثمن، وكذلك شوقي الذي يرد بابتسامة عريضة على شفتيه كفتحة الباب:

- مصل الحقيقة.

تتحول نظرة مينا إلى دهشة لثوانٍ قبل أن تعود نبرة التهكُّم مرة أخرى:

- لا أعرف حقيقة ماذا كنت سأفعل من دونك يا شوقي، لولا وجودك لضاعت حياتي هباء.

لا تتغير نبرة صوت شوقي ولا تتأثر بتغيرات مينا التمثيلية:

- هو حلك الوحيد.

تتحوّل نبرة ووجه مينا إلى الجادة المنفعلة:

- لن يؤثر بها مصل الحقيقة يا سيد شوقي، ثيوبنتال الصوديوم هذا تجاربه فاشلة على أغلب البشر العاديين، هو أساسًا مخدر للعمليات وتجعل المريض يخرِّف في الغالب ويقول خُرافاته لا ما يُطلب منه أن يقوله، إذا أعطيته لها ستطرحنا أرضًا من الضرب.

- وهل قُلت لك إني سأعطيها هذا المخدِّر، هل تعتقد أن شوقي ناشئٌ في عملنا هذا؟

- إذن ماذا ستعطيها يا عبقري زمانك؟

يصمت شوقي لثوانٍ لإضافة قدر من التشويق فيما سيقول، ثم يتحدث في لهجة دهاء مستعارة:

- في منطقتي (عزبة الوالدة) بحلوان هناك أكبر تاجر مخدرات اسمه فتيحة رابسو، الذراع الأيمن له اسمه معتز القبيصي، الذراع الأيمن له هذا كان يعمل معنا هنا في صيدلية المستشفى وطُرد لأنه

كان يسرق الأدوية المخدّرة ويبيعها.

تتغير نظرة مينا له قبل أن يستطرد شوقي مبتسمًا:

- لكنه كان غشيمًا ويعمل وحيدًا.

يعود مينا بظهره وهو ينظر إلى شوقي بصبر على قصته البلهاء التي تُستكمل:

- معتز هذا كان كيميائيًا من طراز رفيع وهو الذي يغش أغلب المخدرات في السوق، وفتيحة يتولّى البيع والتوزيع، لديه مصنع صغير على طرف البلد، المهم أن معتز هذا يمتك ميزة عن جميع شركات الأدوية في العالم، فئران التجارب، عندما يريد تجربة خلطة جديدة فتيحة يصطاد له أي مدمن من المنطقة أو ما حولها ويحجزه عنده ويجرّب فيه الخلطة، نجحت يكون كل شيء على ما يرام، أمّا إذا مات الشخص تم دفنه في أي منطقة وهذا أقصى الشر. معتز يملك معملًا يجرّب فيه أشياء عديدة، المهم، وقعت سرقة لدى فتيحة من أحد صبيانه الكبار وأنكر، طبعًا حفّز هذا الموقف القبيصي لتجربة جديدة، بالطبع هو يعرف أن المخدّر المستخدم في العمليات هو مصل الحقيقة المتعارف، لكنه كان يريد أن يصنع شيئًا مختلفًا، هو فنان فيما يخص الكيمياء ليس مجرد عبقري، فصنع عقار الحقيقة الخاص بالقبيصي، الشخص صبي فتيحة الذي تم تجربته عليه مدمن هيروبين وكوكا، جمع معتز القبيصي كل رجال فتيحة وصبيانه وأعوانه وتجار آخرون في صيوان بجانب المعمل وقام بتجربته، تخيّل ماذا حدث؟ لقد اعترف بكل شيء، والمصل كان قويًا جعل ذهنه صافيًا لدرجة أنه ذكر تفاصيل مشاهدته لأشياء لم يكن

يعرف أنه يتذكّرها، وذكر كل سرقاته السابقة لفتيحة وكل ما شاهده، وكأنه كلما سئل يظهر أمامه تاريخه كشريط فيديو، الموضوع أصاب كل أعوان رابسو بالرعب خوفًا من تجربته عليهم، وأُطلق على هذا العقار الكشّاف وليس مجرد منوّم يجعل متعاطيه يلقي بتخاريف.

لم تتغير ملامح وجه مينا وهو يسمع القصة قبل أن يرد:

- وهل تعتقد أنني سأحاول تجربة التركيبة التي تحكي عنها في المستشفى لتموت وتمهّد طريقنا إلى الجحيم إذا افترضنا أنك ستأتي بها؟

- ابحث في تاريخ المستشفى يا دكتور وسوف يحكون لك عن معتز إذا كنت متخوفًا، ولن يموت أحد، أنا لا أعرف وجه الاستفادة لسيادتك مما تقوله هي، أنا أعرض عليك الحل الذي أضمنه أنا برقبتي، إذا وافقت سأعطيها أنا الحقنة بيدي في الفترة المسائية وحيدًا في الليل إذا سمحت لي، إذا نجحت سنكرّرها بعدها في وجودك وستحصل على كل ما تريد معرفته.

ثم يقف شوقي ويرشف من كوب الشاي قبل أن يسير به وهو يقول:

- فكّر يا دكتور وأنا في انتظار ردك، سأحتاج يومين لأجلب العقار.

- كم ثمنه؟

ينظر له شوقي بطرف عينه ويبتسم ابتسامة خبيثة:

- سأقول لك عليه بعد نجاح الكشّاف.

ويترك الغرفة تاركًا مينا في حيرة شديدة؛ فكرة جديدة لواقع ضِيق الوقت، وهناك نقود خضراء تلوح من بعيد وان لم يرد لها التحية قد ترحل، ويجب أن يرد التحية بأي شكل.

***

يدخل مينا منزله مساء اليوم كعادته ليجد على غير العادة أخاه جون في استقباله ويبدو عليه التوتر.

- كنت سأكلمك حالًا.

يقف مينا في دهشة شديدة من رؤية جون بهذا التوتر غير المعتاد الذي ينتقل على الفور إلى هيئة مينا الذي يرد بسرعة:

- ماذا حدث؟

يمسكه جون من ذراعه ويسحبه إلى غرفته بسرعة ثم يتحدث إليه بصوت منخفض:

- أسامة الشاب الذي قام بتجربة الكابوس الأول هنا، يجلس في الشرفة، جاء منذ عشر دقائق وطلب مقابلتك.

- مقابلتي! لماذا؟

- لا أعرف، ولكن لا يبدو أنه بخير.

- تمام، تعالَ معي نقابله الآن، لماذا كل هذا التوتر؟

ما هي إلا ثوانٍ وعرف مينا لماذا كل هذا التوتر، هو نفس الشاب الذي جاء بكل حماس للتجربة ونفس طبيعة الملابس الشبابية، ويبدو أنه قام بتصفيف شعره بعناية، ولكن كل هذا لم يغير شيئًا

من واقعه؛ فلون بشرته شاحبة، باهتة، وهناك دوائر سوداء عميقة تحت العينين تجعلها تبدو منتفخة وكأنها حفر صغيرة، وعيونه حادة متسعة، وتبدو مشوّشة وكأنها تحاول التركيز على شيء بعيد، ولكن لا تستطيع.

يقف مسرعًا بصعوبة وبطء شديد على شاب عندما تقع عينه على مينا:

- مساء الخير يا دكتور مينا.

- مساء النور أسامة، ماذا بك؟ شكلك مرهق وغير مطمئن.

- نعم، أنا لست بخير، لست بخير نهائيًا.

يجلس مينا وجون أمامه بينما هو أيضًا يجلس بنفس البطء الذي وقف به ويُخرج من جيبه سيجارة إلكترونية يضعها في فمه ويستنشقها كأنه أكسجين للحياة.

- لا أنكر أن تجربة اللعبة التي جربتها هنا تجربة مثيرة واستثنائية وقد استمتعت بها كثيرًا بالرغم من جرعة الرعب المكثّفة التي واجهتها، ولكن كل هذا مقبول وقد قبلت بالتجربة وسعيد بها، لكن منذ تلك التجربة وأنا أمر بفترة عصيبة في حياتي.

ثم يمسك بكوب ماء أمامه على المنضدة بالشرفة ويديه ترتعشان ويشرب منه:

- أول ليلة كان النوم صعبًا، كانت بعد آثار التجربة من هلع ما زالت معي، تفهّمت ذلك فقد حدث شيء مماثل مع أول لعبة بنظارة الواقع الافتراضي، قمت بتجربتها وكانت إحدى سلاسل الألعاب الشهيرة

التي تعتمد على المشاهد المفزعة، ولكن تلك المرة لم أستطع النوم حقًا، وظللت مستيقظًا حتى مساء اليوم التالي وبعدها نمت بصورة عادية من التعب والإرهاق بعد أن تناولت قرصًا يساعد على النوم وصارت الأمور طبيعية، ومر يوم آخر بنوم طبيعي، اليوم الرابع ومن حيث لا اعلم بدأ كل شيء.

يضع الكوب على المنضدة، وفجأة بدأت الدموع تجري من عينيه:

- كل يوم أحلم بجزء من اللعبة، نفس الحلم اللعين، ولكنه يتطور وكأنني أمر بأجزائه، فيومًا أحلم بالفتاة الغريبة التي تدير رأسها وتشير إليّ بقبضتها، ويومًا أحلم بالرجل العجوز الذي يشير إليّ ويقول إنه يعرف عني كل شيء، ويومًا أرى نفسي وعلى كتفي الخفافيش، هذا أبشع ما في الأحلام، وعيناي مفقوأتان تسيل منهما الدماء، بمجرد أن أنام يبدأ الحلم، وفي النهاية حلمت أنني في الغرفة أقفز في الحفرة الكبيرة التي في نهايتها، تصوّرت أن بهذا التسلسل ستنتهي تلك الكوابيس اللعينة، ولكن سقوطي في الحفرة ينتهي دائمًا أني أقع لأجد نفسي في الغرفة الأولى وكأنني أعيد الكرّة مرة أخرى، إلى جانب الكف اللعين التي أصبحت أتخيلها وأنا مستيقظ، أراها كلما نظرت إلى انعكاس أي شيء، لقد أصبحت حياتي جحيمًا.

يسحب مينا مقعده ويجلس بجانب أسامة ويربّت على ظهره والدموع تزداد وتنقلب إلى بكاء، بينما يتحدث له مينا بتعاطف:

- اهدأ يا أسامة، كل شيء سيكون على ما يرام، هذه أعراض صدمة نفسية، أنت تعاني منها الآن بسبب اللعبة، ولكنها مؤقتة وستزول مع الوقت، فقط اهدأ وكل شيء سيكون على ما يرام.

يتركه مينا ويدخل إلى غرفته ليجلب له علبة دواء وورقة كتب له عليها الجرعة:

- أسامة، عليك أن تأخذ هذا الدواء كما دوّنت لك، بنفس الجرعات وفي خلال أسبوع سينتهي كل شيء، فقط تواصل معي على هاتفي إذا احتجت أي شيء وأنا سأساعدك.

يهز أسامة رأسه في هدوء وتفهُّم، يعطيه جون منديلًا لكي يمسح دموعه، دقيقة ويقف أسامة متأهبًا للرحيل:

- أنا آسف أني أزعجتك دكتور مينا، مهندس جون، أعتذر كثيرًا.

- لا تقُل شيئًا أبدًا يا أسامة، ابقَ حتى تهدأ.

يرد عليه جون في تأثُّر شديد بحالة تحوُّل الشاب الذي كان تنبعث منه الطاقة قبل التجربة إلى هيئة جندي مهزوم عائد بذكريات الحرب وخيبة الأمل..

- شكرًا، سأرحل الآن وأتواصل معكما إذا حدث تطوُّر ما.

ثم ينظر إلى مينا نظرة غير مفهومة، ويتوجه ناحية الباب وهما معه، وقبل الوصول إلى الباب بخطوتين يلتفت إلى مينا:

- هناك شيء آخر في الحلم لا أعرف إذا كان يجوز لي أن أذكُره أم لا دكتور مينا.

- شيء حدث فيه؟

- نعم، وأريد أن أقوله لك ولا أعرف كيف.

- قل يا أسامة ولا تقلق، إنه مجرد كابوس لا شيء واقعي.

يبتلع ريقه وكأنه بحجم بيانو قديم يمر في المريء ويصمت للحظات:

- في كل مرة ينتهي الحلم بهذا الوحش الذي يشبهني يجري ورائي وأنا أقفز في الحفرة، في آخر مرة وصلت للنهاية لم أقفز، وظل يقترب مني ويقترب..

عين أسامة تتسع وتلمع في رعب وهو يتحدث ويرفع ذراعه في بطء.

- وعندما وقف أمامي بالضبط لم يفعل لي شيئًا، مدّ يده خلف ظهره وأخرج لي رأسًا بشريًا مقطوعًا.

ثم يصمت لثوانٍ والدموع تعود:

- رأسك أنت يا مستر جون.

قالها وهو يشير إلى جون الذي انتقل الهلع من أسامة إليه هو ومينا الذي تجمّد من الجملة، مينا الذي أدرك أن تلك اللعبة لن تنتهي على خير أبدًا.

***

- تفضّل يا أستاذ كمال.

يقف كمال أبو الفضل المحامي ويحمل حقيبته الصغيرة ويسير إلى داخل مكتب الدكتور أكرم جودة مرة أخرى، حاول التواصل معه عدة مرات تليفونيًا، ولكنه مشغول أغلب الوقت، وبمكالمة سكرتيرته ذكرت أنه يفضّل اللقاء عن المكالمات، لهذا وجبت عليه تلك الزيارة

حتى إذا كانت ثقيلة على قلبه وتضيّع عدة ساعات في زمن الرحلة إليه والانتظار، لكنها تظل أكبر قضية لديه كمحامٍ.

يستقبله الدكتور أكرم جودة كعادته بفتور شديد، فيقتصر كمال الوقت ويجلس ويبدأ في التحدُّث:

- مساء الخير يا دكتور، هناك عدة مستجدات في القضية، أولًا: التقرير المبدئي الصادر من المستشفى والذي أفاد أن المريضة تعاني من فصام، وهذا يعني أنه لا يمكن الحكم عليها إلا بعد فترة من الملاحظة وخروج التقرير النهائي، وهذا يعطينا الكثير من الوقت الذي نحتاجه في القضية نفسها، حتى الآن لا يوجد أي دليل لدى النيابة سوى الشريحة، وقد قمت بتقديم ما يفيد أن الدكتور نيفين والمهندس أحمد متزوجان من فترة، وأن من الطبيعي وجود متعلقات عند الطرفين يملكها الطرف الآخر، وممكن أن تكون الكاميرا ملك المهندس أحمد وكانت لاستخدامه الشخصي.

يقاطعه الدكتور أكرم:

- ماذا تعني باستخدامه الشخصي؟

- استخدامه الشخصي، الكاميرا كانت في مكان يكشف غرفة النوم كلها، من الممكن أن المهندس أحمد كان يقوم بتصوير نفسه مع زوجته في غرفة نومه، تلك حرية شخصية لا دخل لنا بها، ولكنها فرضية موجودة، في النهاية، من الواضح أن لا أحد سيعرف كيف تم استخدام تلك الكاميرا.

يهز الدكتور أكرم رأسه لمنطقية تلك المعلومة في هدوء، قبل أن

يستطرد كمال:

- بالمناسبة، أنا قمت بزيارة الدكتورة نيفين في المستشفى، صحيح بصعوبة وتضييق، ولكني استطعت في النهاية.

يعتدل أكرم في جلسته وهو ينظر له بدهشة نادر حدوثها:

- وكيف هي؟

- بحالة جيدة، لكن بالطبع المستشفى نفسه في حالة يُرثى لها ونائية وبها كل مشاكل المستشفيات الحكومية، لكن الدكتور نيفين بحالة جيدة وتحدثت معي بصورة طبيعية.

ثم يضع يده في حقيبته ويُخرج ظرفًا ويناوله للدكتور أكرم:

- لقد أرسلت لك هذه الرسالة.

تزداد دهشة أكرم الذي يلتقط الظرف ويهم بفتحه، ولكنه يتراجع في قراره ويضعه بجانب مكتبه، ثم ينظر لكمال ويقول:

- هل هناك شيء آخر أستاذ كمال؟

بالرغم من أن كمال كان ينتظر رد فعل الدكتور أكرم على رسالة ابنته، إلا أنه لم يُبدِ أي ردة فعل، وتحدّث دون أي تغير:

- القاضي الذي وُكِلت إليه القضية اعتذر عن استكمال القضية، وتم توكيلها إلى قاضٍ آخر.

- وما اسم هذا القاضي الجديد؟

يقف كمال ويحمل حقيبته ويبتسم ابتسامة واسعة وهو يمد يده

لمصافحة الدكتور أكرم:

- الدويني، عزت الدويني.

ويسير خارج مكتب أكرم الذي لم يفهم ابتسامة كمال نهائيًا وينتظر إلى أن يخرج كمال من المكتب قبل أن يمسك بالظرف ويقوم بفتحه ليجد ورقة مطوية عدة مرات فيقوم بفتحها، وعندما ينظر إلى ما فيها يقف ويظل يتأملها، ثم يضع يده على قلبه لتوانٍ من أثر الانفعال قبل أن يقطع الورقة في عنف ويلقيها في سلة المهملات ويجلس على المقعد والغضب يشتعل في عينيه وهو يردد بصوت خافت:

- اللعنة عليك يا نيفين، اللعنة عليك ألف مرة.

***

- لا توجد نقطة رجوع يا مينا، لا توجد نقطة رجوع الآن.

يقولها جون وهو يضع الطعام الصيني الذي قام بطلبه هو وأخوه على المنضدة في حزم شديد ويفتح الحقائب ويقوم بتوزيعها بينهما ويستطرد:

- المشروع يجب أن يكتمل، ضميرك هذا لا بد ألا يستيقظ الآن، ولا أحد سيصلح الكون، نحن نقوم بعملنا هنا المكلّفين به ونتقاضى أجرًا عليه، نحن نحترم الاتفاق الذي نُبرمه، وكل من يشارك يعرف أضرار المشاركة، وما لدينا قدمناه، وإياك أن تقول أي شيء عما حدث مع أسامة.

لا يشعر مينا بالراحة نهائيًا، جون هو المادية الحديثة التي لا

تعترف بمشاعر ولا أي اعتبارات أخلاقية ولا أي شيء معنوي، مينا يؤمن أيضًا بذلك وعلى نفس الطريقة يبيع الأدوية المخدّرة ولا يوجد فارق بينهما سوى شيء وحيد للغاية عرفه مينا من عمله الطويل بالمستشفى من الكثير من المرضى الذي انتهى بهم الحال سكانًا دائمين لها، إن هناك ثمنًا لكل شيء حتى ما تغاضيت عنه، وآجلا أم عاجلًا ستدفعه.

- هل سألتهم حتى عما إذا كان قد حدث مثل هذه الأشياء في التجارب الأوّلية من قِبل فريق العمل؟

يصمت جون لثوانٍ قبل أن يرد:

- لا يوجد أيّ ردٌ منهم عن هذا، ولكن من الطريقة التي يتحدثون بها أعتقد أن هناك شيئًا ما هم لا يريدون الحديث عنه أو الوقوف عنده، وعلى هذا أنا أيضًا لن أقف عنده ولا أنت.

- أنا لن أقف، هذه نقود لم أستطع الحصول عليها ولا حتى من إرث والدينا، وأنا أريد لهذا المشروع أن يستمر طول العمر وسوف أفرّغ له، ولكن هناك مشكلة كبيرة تواجهني.

يأكل جون بصوت عالٍ واستمتاع واضح قبل أن يبتلع بصعوبة ما كان يمضغه ويتحدث إلى مينا بصوت مرتفع وفم مفتوح وبقايا الطعام تطير من فمه مثل شرر الكهرباء

- المريضة الذهبية؟

هو يسميها كذلك تشبيهًا لها بالفرخة التي تبيض بيضًا من ذهب.
يهز مينا رأسه بشكل عصبي وهو يرد:

- أنت لا تعرف شيئًا، أنا أضع مستقبلي على المحك وأزيّف تقريرًا طبيًا وأقبّل قدميها وتقبّلت الصفع منها بصورة قذرة، انت لا تعرف الثمن الذي أدفعه، والآن لا أعرف ماذا ستطلب هذه المرّة.

- وماذا ستفعل؟

- لقد نقلتها إلى غرفة العزل، هذه الغرف مجهّزة لكيلا يعرف أحد ماذا يحدث داخلها، حتى نظام الكاميرات بها لا يعمل، ولكن لا أعرف ماذا سيحدث المرة القادمة؟

يتوقف جون مرة أخرى عن مجزرة الطعام الحار ويتحدث:

- تصرّف بأي طريقة، هذه فرصة ماسية وليست ذهبية.

يقص عليه مينا اقتراح شوقي البطاح، فيرد جون بسهولة شديدة:

- ولم لا؟

- لأني لا أعرف العواقب، وإن حدث لها شيء ستكون في رقبتي أنا.

- هل يمكن أن تموت؟

- احتمال ضعيف.

يعتدل جون ويفتح علبة مياه غازية بقوة

- الرجل سيعطيها الجرعة على مسؤوليته، ولن تموت، بالطبع لا يجب أن تموت؛ بهذا سوف تفسد بضاعة ممتازة لنا، يجب أن تجرّب، ويجب أن تحضّر مريضًا آخر لنفس الغرض إذا اكتمل المشروع.

- للأسف مثل نيفين هذه نادر للغاية؛ فهي حالة مختلفة ومثيرة، أو بالأصح غير موجود؛ فهي دكتورة، متعلمة، من عائلة كبيرة، مرت بتجارب تسحق أي إنسان عاطفيًا، ومع ذلك انتقمت بصورة أو بأخرى على حسب روايتها التي من الممكن أن تكون غير حقيقية، تُصاب بكوابيس أبشع من خيال أفلام الرعب وتصادف أنني أحتاجها فتدر عليّ الأموال.

- أنت أحمق يا مينا، أحمق للغاية.

- لماذا يا عبقري؟

- لأنك نظرت أنها حالة مختلفة ومثيرة فاعتقدت أنها أفضل من سيفيدك، نظرت لحالتها أولًا ثم نظرت لاحتياجك، لكن إذا قمت بوضع كامل التركيز فيما تحتاج تستطيع أن تستخرجه من أي شخص، في النهاية أنت قدمت تنازلات لها حتى تحصل على ما تريد، بينما إذا بحثت في الحالات التي تراها عادية لديك في المستشفى قد تجد من يعطيك كوابيس أكثر سوادًا دون مقابل حتى، ولكنها في النهاية مهمتك، أنا أريد كوابيس، مريضة مريض حتى لو كوابيس طفل في الحضانة، طالما ستعجب هذا المُموّل.

يصمت كلاهما وينهمكان في الطعام، بينما مينا يفكر في كلمات جون، يكون الكلام منطقيًا عندما يخرج من فمه، ولكن تطبيقه يصبح صعبًا، هي لعبة يلعبها جون معه، في النهاية هو لا يعرف عن ماذا يتكلم أو بيئة المستشفى ونوع غالبية زوار وقاطني المستشفى من المرضى، هذا العالم أكثر ضبابية من رؤيته البسيطة الحديثة للأشياء. في النهاية، كان مينا قد أنهى العشاء وأرسل رسالة إلى

شوقي ليوفر المطلوب، وهو يعلم أنه سيطلب الكثير في المقابل، ولكن مهما كان الكثير، فالعائد يكفي الجميع.

***

- لا تقلق يا دكتور، هل تريد أن تقوم بتجربته عليّ أولًا.

يقولها شوقي مازحًا وهو مبتسم ابتسامته الصفراء المعتادة، بينما مينا ممتلئ بالتوتر والقلق من تلك اللحظة التي لم يكن يخطط لها، هامش الأمان أساسي في كل خطواته وهو ما يجعله يقوم بالتخطيط الكثيف لكل خطواته لأنه يعلم أن خطوة واحدة دون تخطيط قد تدمّر كل ما بنَاه، لكن العائد المنتظر يجعله يقبل المخاطرة بالنظر لمعطيات المعادلة، كان يتمنى أن تكون نيفين أكثر ليّنًا وتفاهمًا وأن تتفق معه بسهولة فيما يخص ما يريده منها، هي شخصية صعبة ومعقّدة وحتة بعمله كدكتور نفسي لا يتوقعها ولا يتوقع ردّ فعلها، وغير قابلة للترويض أو التفاوض للوصول إلى اتفاق مُرضٍ لجميع الأطراف، فلا يوجد لديه ما يرضيها أو لإقناعها للتفاهم في هدوء ودون أي مخاطرة، ولكن إذا كان حلُّ شوقي هو المتاح لوضعها تحت السيطرة فسيستخدمه، هو يعلم من جانب آخر أن شوقي ليس غبيًا وجبانًا، وهو شيء مطمئن لجانب المخاطرة في المعادلة، لن ينهي مستقبله بالاعتماد على خلطة هذا الكيميائي الذي استفسر عن ماضيه من إحدى الممرضات القدامى فأكدت وجهة نظر البطاح.

- شكرًا، معرفة ماضيك ستضر بعلاقتنا سويًا إلى جانب أني لا أمتلك مانعًا للقيء الآن.

يضحك شوقي على رد مينا الذي لا يغادر القلق ملامحه وهو يرى الأمبول المجهول في يد شوقي وكأنه يحمل قنبلة قد تنفجر في وجهه:

- هذه الجرعة تكفي مرتين على كلام القبيصي، بها مادة منبّهة، هذا يعني سيجعلها قد لا تستطيع النوم بسهولة على الأقل أول مرة قبل أن تعتاد عليه.

- مفهوم.

- هل تريدني أن أدخل معك؟ سأكون سعيد بتقييدها.

- إذا احتاجتك فقط، دخولك معي سيشعرها بالقلق، ورؤية شاربك قد تأتي بنتيجة عكسية عن المراد من التجربة.

يلتقط العلاج السحري (لكشّاف) من يد شوقي ويأخذ نفسًا عميقًا، يقف ويتحرك من غرفته بالمستشفى ويرافقه شوقي إلى غرفة نيفين وكل ما في رأسه يجعله قلقًا، إجمالًا يشعر بالحماقة، ولكن لا يوجد حلٌ أمامه نظرًا لضيق الوقت. يصل غرفة نيفين فيفتح له شوقي الباب مبتسمًا محاولًا طمأنته، ولكن تلك الابتسامة تبث المزيد من الشك داخله، ثم ينتظر عند الباب، كالعادة يجد نيفين على الفراش جالسة، بالطبع نظرًا لخصوصية حالة الغرفة لا يوجد مقاعد أو أي شيء متحرك منعًا لأي استخدام عنيف، تنظر إليه هي الأخرى نظرة مختلفة عن كل مرة يدخل فيها، هي أيضًا تشعر بالتوتر الذي لا يتناسب مع شخصيتها، مما يعني أن رد فعلها قد يكون مختلفًا، لكن لا رجوع..

- كيف الحال الآن دكتورة نيفين؟

يقولها وهو يخفي جميع مشاعره خلف قناع الهدوء المعتاد. لا ترد، وتكتفي بنظرة لا يفهم مشاعرها منها، ولكنه يحتفظ بجموده ويرسم ابتسامة زائفة ليستطرد:

- عرف أن هذه الغرفة قد تكون كئيبة بعض الشيء، ولكنه وضع مؤقت من مصلحتنا سويًا لكي نؤكد أن حالتك كما كتبت في التقرير تحتاج البقاء في المستشفى وأن كل ما حدث، حتى لو ثبتت التهمة عليك، لا يمكنهم محاكمتك، وبعدها يصدر التقرير النهائي الذي سينهي كل الشكوك حول حالتك.

تظل صامتة دون رد فعل وهو يسير في الغرفة الصغيرة ذهابًا وعودة بخطوات قصيرة، كلاهما يعرف أن الآخر داخله شيء ما يخفيه، وهذه المسرحية التي يقدمها هو لا تنطلي عليها..

- ماذا تريد؟

تقولها هي في توتر يهرب لسطح ملامح وجهها وكأنه تسريب في خزان يوشك على الانفجار.

- أنت تعرفين، بقية الكوابيس.

- وإذا لم تكن تلك إرادتي؟

يقف فجأة عن التجوال في الغرفة لهوانٍ:

- أنا قدمت لك الكثير على الأقل الحماية اللازمة.

- ليس حبًا فيّ، ولكن لأنك تريد شيئًا ما مني.

- وأنتِ يجب أن تقدميه في المقابل، أنا فعلت الجزء المطلوب مني.

- وانا لم اطلبه منك في الأساس، هل تعتقد أنى كنت أريد البقاء هنا

يستكمل التجوال وهو يتحاشى النظر إلى عينيها ويتحدث:

- لن أتحدث عن بديل بقائك هنا الذي هو أفضل من الانتظار في السجن وحبل المشنقة.. مصيرك المحتمل، ولكنك هنا الآن، مريضة بفصام أثبت بأوراق لجنة رسمية وأصبحت تحت سيطرتي، لن يصدقك أحد بعد الآن، حتى المحامي، لن يجد ما يقوله أو يحبته. فما رأيك في اتفاق يجعل الكل سعيدًا؟ يمكنك البقاء هنا بأمان ويمكنك العودة إلى غرفتك القديمة، بل يمكنني أيضًا أن أجعلك تمضين الصباح في حديقة المستشفى الجميلة التي نمتلكها.

تقاطعه بلهجة مختلفة:

- أو ماذا ستفعل؟ ستعذبني لكي أقول لك ما تريد؟

- بالطبع لا، طالما ستكونين مطيعة وتقولينه بهدوء.

تصمت ولا ترد، فيقف لثوانٍ ويقرر استمرار الضغط عليها والمواجهة، فيميل ناحيتها قليلا بخصره وينظر إليها في عينيها ويتحدث في هدوء:

- ماذا قررت يا دكتورة نيفين؟

كان يعرف أن رد فعلها قد يكون عنيفًا وكان مستعدًا لذلك لهذا لم

يتحرك ويتفاجأ كثيرًا بتلك البصقة التي التصقت بوجهه بعد ثوانٍ من المواجهة وغطت أغلبها نظارته الطبية، اعتدل وأخرج منديلًا من جيبه ليمسح وجهه ونظارته، ثم عاد عدة خطوات ليطرق الباب طرقتين فينفتح ويظهر شوقي الذي يدخل بجدية كاملة ومخيفة على وجهه فتقف لتواجهه، ولكن بخبرته المعهودة في تلك المواقف يمسك يديها ويشدها ليكبّلها وهي تحاول الهرب منه دون جدوى، بينما يُخرج مينا في غضب يظهر على ملامحه سرنجة ويضعها في محلول الكشاف، وينتظر أن تهدأ من محاولتها الكثيرة للهرب من شوقي الذي قيّدها كالأخطبوط وهو لا يكترث بسيل السُباب والبصق وصراختها الغاضبة، تدرك بعد دقيقة لا أكثر أن لا جدوى من كل ذلك، ينتظر مينا تلك اللحظة اليائسة ليضع السرنجة في ذراعها ويفرغ المحلول داخلها بهدوء.

- بماذا حقنتني؟

تسأله في غضب محكوم.

- هذا ما سنعرفه بعد دقائق.

يقولها وهو حقيقة يجهل ماذا سيحدث. يجلس على الفراش ويلتقط أنفاسه وهو يحتوي هدوءه، لم يفعل ما يفعله هذا من قبل، ولكن الحاجة تولّد الشر، يتركها أيضًا شوقي بعد أن وضح الاستسلام عليها ويلقيها على الفراش ليقف مينا وينزل الصمت على كل من في الغرفة، يشير مينا إلى شوقي بالوقوف عند باب، ويقف مينا على بُعد خطوات بينما تمسك نيفين ذراعها مكان السرنجة وهي تستجمع نفسها وتنظر إلى مينا ثم إلى شوقي الذي تخيفها

نظراته المستكشِفة المترقِّبة، التحفُّز في هيئة وقفته وترقُّبه لردة فعلها يجعلها تتجمد مكانها في خوف.

تشعر بخِدر في رأسها بعد دقائق من الصمت والاستسلام لما حولها، استسلام لإدراكها أضعف موقفها أمام تخطيط مينا وقبضة شوقي وقِلة حيلتها الآن بين حوائط الغرفة وجدران المستشفى وأسوارها، استسلام أغلق جفنيها بقوة، وكأنها تحاول سدّ ثقب في سدّ هَرِم متصدع. دوارٌ غريب يلفّها كأنها تسير على حافة بركان يقذف حِممه في أعماقها. صورٌ متراكبة تتراقص أمام عينيها كأشباحٍ تهرب من قبضة النسيان، ذكريات طفولية دفنتها في أعماقها تطفو على السطح حيةً نابضةً بالحياة، أحاسيس متناقضة تتلاطم في داخلها، كأمواج عاتية تضرب شاطئاً صخرياً. كلماتٌ متقطعة تخرج من شفتيها كأنها تحاول الإمساك بخيط رفيع يربطها بالواقع، ولكنها تفلت منه بين أصابعها. شعرت وكأنها تغوص في أعماق المحيط السحيقة، كلما تعمّقت أكثر زادت الضغوط عليها والرؤية ضبابية. كلما اقتربت من الحقيقة، زادت الرغبة في الهروب منها، في العودة إلى الظلام الآمن الذي اعتادت عليه، أصبحت ترى بوضوح كل شيء لتصبح الأعماق التي غاصت اليها سطحًا كاشفًا لكل شيء، كل ما كانت تخفيه داخلها وجدته، واجهت كل الحقيقة، عندها صرخت، صرخت صراخات متتالية جعلت مينا ينظر إلى شوقي الذي ارتبك من ردّ فعلها الذي كان غير متوقع، ثم أخذت تبكي بحرقة ونظرت للسقف وأخذت في النحيب بألم وكأنها مصابة بألم حاد. اختلطت على مينا الأفكار وساعده في ذلك الشحوب على وجه شوقي الذي يحاول الاحتفاظ بالهيئة الجادة، ولكنه لم يستطيع إقناعه بذلك،

يقترب منها مينا وهي تنتحب، وعيناها مثبتتان على نقطة في السقف:

- نيفين.

تُصدر صوتًا ما خافتًا كمواء القطط التي تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد دهس سيارة نقل على نصفها السفلي، يحاول إدارك مدى استجابتها لما حولها.

- دكتورة نيفين، هل تسمعينني؟

تُصدر نفس الصوت مرة أخرى بصورة أطول وكأنها تقاوم شبح ما على صدرها ورأسها، تبدو وكأنها تريد النظر إليه، ولكن تصلُّب جسدها يمنعها.

- دكتورة نيفين، ماذا ترين الآن؟

تحاول الحديث فتفتح فمها ليتسلل منه اللعاب كالسيل على وجهها هي، وعيناها تجحظان في هلع وهي ترد وكأنها على وشك مغادرة الحياة:

- كل شيء، أرى كل شيء.

***

الفصل الأخير: الحقيقة الوحيدة

(الموتى لا يتعلّمون الدرس)

*

من أين بدأ الكابوس؟

العقل البشري ليس شيئًا معقدًا في الأساس، بل هو بسيط جدًا في تكوينه كأجهزة الكمبيوتر البسيطة "وحدة معالجة ووحدة تخزين"، لا شيء آخر.

وحدة التخزين بطبيعتها تخزّ كل شيء، لهذا في الحقيقة نحن البشر نعرف كل شيء، نعرف كل ذكرياتنا الحقيقية، السعيدة والبائسة، الخطايا والجرائم، الصحيح والخاطئ حتى أننا نعرف عن ظهر قلب أن هناك موتًا، قبرًا، ربًا، وحسابًا عسيرًا ينتظرنا.

كل شيء وأي شيء ولا شيء.

لكن المخ ضعيف وهش، رخو مثلما نراه في مطاعم الكبدة والمخ، مغلف بالدقيق والردة، لا يستطيع تحمّل كل تلك الحقائق التي تشبه الزيت الساخن في المقلاة، ولا يستطيع المُضي قُدُمًا بصاحبه وسط كل تلك الانكسارات والصدمات التي يتسبب فيها من حولنا وأولهم من نحبهم، أولهم الأبوان، والباقي لكل رفاق الرحلة التي يكون شعارها الخذلان، وهنا يلجأ المخ للقلب ليصنع سيناريو جديدًا لتلك اللحظات بناء على معطيات القلب، فالقلب الطيب يضع سيناريو مغلّفًا بالتسامح ليستطيع استكمال القصة في هدوء، والقلب القاسي يضع سيناريو غاضبًا وانتقاميًا محمّلًا بطاقة سلبية تدفع صاحبه

لطريق العنف، أما أصعب سيناريو هو ما يكتبه قلب محمّل بالأمل.

وهذا قلب نيفين، طفلة هشّة محمّلة بالأمل في كل خطواتها، كل التجارب القاسية التي واجهتها وجرحتها لم تقتل الأمل داخلها في كل مرة، وتجربة تبحث عن النهاية السعيدة حتى وداخلها الشك المصاحِب لها دائمًا، ولكنه لم يوقِفها في طريق البحث عن نهاية سعيدة والتي كانت آخرها تجربتها مع أحمد بشارة، وكما نعرف جميعًا الأمل أكبر قاتل في تاريخ البشرية، الأمل في أن يتغير كل شيء جعلها تصنع تاريخًا مزيفًا من الأكاذيب يعيش معها حتى الآن، وهي قبلت ذلك بصدر رحب، قبلت بأن يصنع الأمل حائطًا من الأكاذيب مع كل حدث في حياتها، فأصبحت لا ترى أي شيء من حقيقة أمام كل تلك الأسوار. هي نفسها أصبحت تعيش في قشرة مختلفة ورديئة عن الإنسان الذي تحمله في داخلها، حتى دخلت تحت جلدها تلك المادة، اختراع معتز القبيصي الأشهر، الكشاف.

صنع طاقة من النور اخترقت جميع الأسوار، وفجأة أصبحت نيفين تسبح في ذكرياتها بدلًا من السباحة حولها، استطاعت أن ترى الكل كاملًا، كل القطع الناقصة تجمّعت في عقلها، عرفت أن ما أصبحت عليه الآن ليس هي، بل ما دفعت لكي تكونه، لهذا أخذت تصرخ لأن مخها اقترب بشدة من المقلاة في تلك اللحظة التي ظهر فيها كل شيء.

كل شيء، وأي شيء ولا شيء.

- دكتورة نيفين، هل تستطيعين أن تتكلمي؟

يسألها مينا بصوت هادئ وهو يجلس على ركبتيه بجانب الفراش،

ترد كالمخدّرة في هدوء.

- نعم.

- هل يمكنك أن تحكي لي الكابوس الأخير الخاص بزوجك أحمد؟

- لماذا؟ لماذا تريد أن تعرف شيئًا مثل هذا البشاعة؟

تقولها بصوت مبحوح حزين وباكٍ، يرد مينا بهدوء:

- احكِ لي عنه مرة واحدة فقط.

تصمت للحظات وهي جامدة في الفراش كأنها معبتة به عن طريق ألف مسمار، لا تتحرك شعرة منها.

يشير مينا إلى شوقي ليغادر ويبقى معها هو، تتحدث بصوت مصحوب ببكاء:

- كنت في غرفة وحيدة مظلمة مثل كل الكوابيس المظلمة، وفجأة ظهر ضوء من صورة كانت معلّقة لم أكن أعرف أنها موجودة في الأساس، صورة لشخص ما أعرف ملامحه، ولكن الصورة ليست واضحة لي، يخرج منها شعاع ضوء يضرب فيّ بشكل ثابت، أنظر خلفي فأجد ظلي منعكسًا على فراش طفل صغير، وفجأة يفتح باب الغرفة في نفس الوقت الذي أجد ظلي على الفراش يتشكّل ويكبر ليصبح أكبر من الغرفة وكأنه يحاول أن يبتلعني، فأهرب من الضوء وأركض إلى باب الغرفة، أفتحها وأدخلها لأجدها مظلمة تمامًا، غرفة نوم كبيرة بها نفس أثاث غرفتي القديمة في بيتي إلا أنه مكوّم في منتصف الغرفة تاركًا باقي الغرفة في الفراغ، وفجأة تُظهر اللوحة مرة أخرى نفس الضوء الذي يتبعني هذه المرة فيلقي بالظل، والظل

يترك مكانه ويجري ناحيتي وخطواته تطبع على الأرض أثرًا مثل الفحم ويطاردني مرة أخرى في الغرفة ونحن ندور في هيستيريا حول الأثاث المكوّم وقدمي ملوّثة بأثر أسود كخيط فحم كلما دهسته تبطئ سرعتي عنه، حتى أخرج منه إلى الغرفة التالية لأجدها غرفة ميريهان والكاميرات معلّقة في كل مكان في الغرفة الكبيرة، وعندما دخلت بدأت الكاميرات تضرب فلاشًا ساطعًا قويًا بصورة متوالية، لأجد في كل ضربة الظل يعود خلفي من جديد، وكأنني في تصوير بالسرعة البطيئة، أخذ حركة واحدة مع كل فلاش بينما الظل يتكوّن بسرعة عادية أسرع مني.

كيف أستطيع الهرب من هذا؟ أعكس اتجاهي كل مرة فيتغير مكان الظل ويبدأ في التكوين من جديد حتى أصل إلى الباب، حينها أدرك أن النجاة حين أقتل الظل، أدخل الغرفة التالية، وقبل أن يسطع أي ضوء، زحفت على وجهي، هكذا لن يكون هناك ظل، لن يتكوّن، إنها غرفتي أنا في منزلي، والأثاث مثبت في الهواء بصورة غير مفهومة وجاهز للسقوط أرضًا وكأنه يعرف أني سوف أزحف فطار ليسقط عليّ، أزحف وأختبئ من النور الذي يخرج من نفس اللوحة التي تظهر في كل مرة بصورة مفاجئة من جهة مختلفة، أزحف كأني أزحف على سطح أملس لا أشعر بشيء، ولكن النور ينطلق نحوي ليتكوّن الوحش بصورة صغيرة، يتكوّن بجواري كتفًا بكتف.

لم أتحرك، لم أحاول الركض، شعرت باليأس من تلك المطاردة فظللت في الأرض أشاهده يتكوّن في رعب ويأس، ظلّ يتحول حتى أصبح جسدًا بنفس حجمي نائمًا بجانبي، تحولَت رأسه إلى رأس ملساء بتفاصيل لا أستطيع معرفتها حتى تكوّنت، وفجأة تكلّم

الظل:

- ماما، قفي لكي نستكمل اللعب.

أقف عندما تخترق الكلمات أذني ووجهي في كامل دهشته، أقف وكل ما فيّ من مشاعري يتبدّل، أشعر بأنه جزء حقيقي مني، ظلّي.

أقف فيقترب مني ويحتضنني، كل هذا كان يلعب معي وكنت أظنها مطاردة، كلُّ ما اعتقدت أنه شرّ كان حبًا، إنه كائنٌ من أمل، كائنٌ مني. فجأة ينخفض النور والظل يحاول أن يتشبث بي كالطفل الخائف، أحتضنه وأقترب من اللوحة مصدر الضوء فتنير الغرفة بالكامل مرة واحدة ويصرخ الظل ويختفي تاركًا آثار فحم على كل جسدي وأنا أبكي، أبكي معلما لم أبكِ من قبل، أنظر إلى اللوحة التي كانت تُخرج الضوء في كل مرة، إنها لوحة مرسوم عليها أحمد، فأصرخ:

- سوف ألتهمك، انتظرني وسوف ألتهمك.

***

كان أحمد يجلس في المستشفى في توتر شديد، هو يعلم أن في هذا العصر كل شيء يُكتشف، وإذا تم اكتشاف ما فعله سيكون هناك توابع، والتوابع قد تكون نهايته، ولكنه أقدم على تلك الخطوة تحت تأثير الخوف الشديد، وبينما تصنع الأنانية أضخم الوحوش فالخوف يصنع أكثرها فتكًا ودموية. يخرج الطبيب من غرفة العمليات:

- الحمد لله، لقد أنقذنا الدكتورة نيفين، لكن لم نستطع إنقاذ الطفل بالطبع.

قالها الطبيب ورحل ليتنفس أحمد الصعداء، كان يؤمن أن مصير هذا الطفل العذاب الأبديّ مع أم مجنونة كانت ستتحكم به وتدمّره، لكن بالطبع لم يكن هذا ما يعنيه، فأولوياته ألا يصير هناك أي رابط رسمي بينه وبين نيفين إلى جانب أنه لا يريد تحمّل ذنب هذا الطفل مهما كان مستقبله. كان يريد فكّ الارتباط بهدوء، ولكن هذه ليست النهاية، فبقدر خوفه من وفاة نيفين جراء جرعة الدواء الذي خلطها لها في العصير عدة مرات حتى تُسقط الطفل بناء على توصية زوجته حتى لا يُتهم بالقتل رسميًا، إلا أن بقاء نيفين على قيد الحياة في حد ذاته قد يكون مخيفًا في حال اكتشافها أنه السبب، كان من داخله يتمنى ألا تكون تلك هي النهاية، كان يريد لقصة حب نيفين أن تكتمل لأنه أحبها في البداية بشدة، ولكنه ضعيف، قهره ضغطها عليه بأسلوبها الانتقامي منه من ناحية، وانتقام زوجته منه لشعوره بالسعادة مع غيرها من ناحية أخرى.

عدة أيام وتستعيد نيفين صحتها، تستيقظ برحم فارغ من الأمل، فارغ من الروح، روح في البداية اندهشت أنها من الممكن أن تُزرع فيها، ولكن ذلك حدث، في البداية كانت تخطط أن تقضي عليها هي بذات نفسها، ولكنها تركته ينمو داخلها لفضول غريب، لعله جاء كنوع من الإثارة والتغيير لأعراض الحمل التي قد تكون قاسية ومؤلمة لشابة جديدة، ولكن لجسد مثل نيفين الألم راحته وجزء من تكوينه شيء اعتيادي، حتى جاء يوم من الأيام أدركت فيه حقيقة هذا الطفل.. إنه الأمل، الأمل أن تستعيد المعنى في الحياة.

هي أدركت أن كل مشاكل حياتها في البشر والجانب المظلم لهم، إن الازمة ليست فيما يظهرونه، بل في باطنهم وغرائزهم التي ترقد

تحت الجلد، والآن هي لديها الفرصة لتعديل كل ذلك، الفرصة لكي تصنع إنسانًا لنفسها، الفرصة في شخص تمتلكه، يحبها منذ أن يخرج للدنيا ويَدِينُ لها بولاء حقيقي، شخص تتغير له ومن أجله ويُخرج هذا الحب المدفون داخلها والذي لم يحاول أحد من قبل البحث عنه ولم تعرف هي أين مكانه داخلها، جعلها تؤمن أن كل هذا الظلام الداخلي قد يختفي بطاقة نور صغيرة، وأنه من الممكن في نهاية تلك الرحلة المأسوية لحياتها الممتلئة بالخيبة والندم والخيانة والتي حوّلتها لهذا الشيطان الذي يخشاه الجميع، أن ينتهي كل هذا بهذا الطفل.

لم تشعر بالألم عندما استيقظت جراء فقدان الطفل الذي رفض الرحيل وحيدًا، بل تمسّك برحِمِها وأخذه معه وكل الأمل في تكرار التجربة داخلها، ووسط كل هذا الأمل الذي أصابه كان هناك شيء يقول لها إنها لا تستحق كل هذه السعادة، وإن الحياة ليست بهذا الكرم لكي تعطي لكَ ما تريد، يجب أن تكون هذه هي النهاية، لم تتكلم، بل عادت مع أحمد للمنزل في هدوء مستسلمة دون أي ضوضاء أو غضب، حتى نامت في منزلها تلك الليلة.

وعندما نامت استعادت صديقًا قديمًا كانت قد نسيت وجوده لفترة، إنه صديق تثق به وتعرف إنه يقول لها الحقيقة ولن يذهب إلا عندما تُسدّد دينه، كابوس مصنوع لها خصيصًا. ووقتها عرفت نيفين كيف فقدت طفلها، ومن كان السبب؟

***

قضت نيفين اليوم التالي للكشّاف نائمة، واستيقظت بعد المغرب

في ثِقل شديد وكأنها كانت تسبح ألف ميل، تشعر بخدر في باقي جسدها يجعلها تتحرك في وهن، لم تحتج أن تقف، ولم تكن ستستطيع حتى إذا حاولت ذلك، ظلت في الفراش كالتائهة تعوم وسط ذكريات، أو بمعنى أدق الذكريات الحقيقية لها، ظلت الدموع تتدفق من عينيها وهي تتذكر كل شيء من خلال الحقيقة التي تم تزييفها في الكوابيس، كل تلك الرموز لها في الأحلام كانت أشياء حقيقية في ذكرياتها.. الآن هي تعرف من هو الثعبان ومن صاحب الكف.

تتعجب من كيف كان عقلها يعمل بهذه الطريقة، كيف كان كل شيء واضحًا وتحوّل في عينيها إلى ضباب لم تستطع أن تواجهه أبدًا، وكيف كان من السهل وضع تفاصيل مختلفة عن الحقيقة في عقلها.

تظل الحلقة تدور حتى يأتي مساء هذا اليوم قرابة منتصف الليل، حين يدخل مينا في توقيت غريب غرفتها، لتعتدل هي وترفع يدها راجية وهي تقول له:

- كل ما تريد أن تسمعه سوف أقوله، لكن لا تعطني تلك السرنجة مرة أخرى.

كان وجهه متجهمًا هذه المرة، دخل ووقف في منتصف الغرفة في هدوء غير معتاد منه دون أن يتحدث، قبل أن تستطرد هي وهي تحاول أن تجلس على الفراش:

- ما المادة التي حقنتني بها بالأمس؟

- صدقيني لو قُلت لك لا أعرف تحديدًا، ولكن من الواضح أن لها

تأثيرًا كالسحر حرفيًا، بماذا شعرتِ؟

تستجمع شتاتها وهي تتحدث:

- لا أعلم، ولكنني غرقت في كل الذكريات، شعرت أنني أغوص في شريط حياتي بحرّية، أستطيع أن أرى كل شيء بوضوح لم يحدث من قبل، رأيت كل شيء وكأنه فيلم طويل.

ترتسم ابتسامة باهتة على وجهه وهو يرد:

- رعبٌ في حالتك؟

- نعم رعب، لقد اكتشفت أشياء لا أعلم كيف دفنتها في ذاكرتي.

- مثل ماذا؟

تصمت ثواني وتلتقط أنفاسًا عميقة قبل أن تتحدث:

- هناك كابوس في ذاكرتي منذ عشر سنوات لم أكن اعرف إلى أي حدث ينتمي، ولم أفهمه.

يظهر عليه الاهتمام:

- أي كابوس؟

تصمت وتبتلع ريقها فيناولها هو زجاجة ماء بلاستيكية لترتشف منها رشفة فتبدأ في الحديث:

- يبدأ بأن أجد نفسي داخل تابوت مكشوف وهناك أناس من حولي يقفون ويبكون، هم بلا ملامح، بلا عيون، أسمع صوت نحيب وكل منهم يرفع يده أمامه باسطًا كفّه وإصبع الإبهام مفتوح.

- كالكابوس الأول؟

- نعم، والدموع تنزل من الكف وأنا في التابوت الخشبي في المنتصف والكفوف كلها تردد جملة واحدة بإلحاح (إنها التعليمات) وأنا أتابع كل هذا من التابوت أسفلهم، حتى يُغلق التابوت عليّ فأسمع صوت إلقائه وهو يطير في وقت طويل قبل أن يصطدم بالقاع، وبعدها أسمع صوت رمال تسقط من بعيد قبل أن تهبط على التابوت بأصوات عالية وكأن حبات الرمل قنابل وأنا في التابوت نائمة لا أتحرك أتخبط من الرعب داخل عقلي، دقائق ويعم السكون.

تترقرق الدموع من عينيها ووجها كله تتغير هيئته وملامحه عن المعتاد وكأنها ستُصاب بالشلل:

- ثم يبدأ صوت وكأنه فئران تنهش في حافة القبر السُفلي، تقرض خشب التابوت لتصل إلى جسدي الذي فجأة يكبر ويكبر ومعه يكبر التابوت بالتوازي، وفجأة أجد نفسي أقف على قدمي وأنا مثل عقلة الإصبع، أقف على جبهة جثتي النائمة أمامي وصوت نهش الفئران أعلى من أي شيء، وفجأة تنفجر عيون جثتي ويخرج منها دود وتخرج من أنفي حشرات صغيرة، فأبدأ بالعذوِ على جبهتي حتى أصل إلى فمي الذي يتسلل منه سائل أسود يغوص فيه دود أصفر وصوت النهش يعلو وكل تلك الأشياء تركض خلفي في جنون حتى أصل إلى سُرّة بطني الذي يخرج منها ثعبان كبير أعرفه برأس عملاق فأقع على الأرض ويلتف الدود والحشرات والمخاط حولي كدائرة وأنا أنظر إلى الثعبان الذي يقترب مني ونابيه يقطُران دمًا ويصرخ بأعلى صوت في التابوت:

(لماذا لم تنفّذي التعليمات)

(لماذا لم تنفّذي التعليمات)

(لماذا لم تنفّذي التعليمات)

(لماذا لم تنفّذي التعليمات)

(لماذا لم تنفّذي التعليمات)

تبكي نيفين ومينا يقف أمامها وهو يتنفس بعمق، بينما تتحدث نيفين وسط البكاء:

- لقد قتلت أمي، قتلتها.

تتحول نظرات مينا إلى ذهول وهي تستطرد:

- حقنتها بمادة مهدئة تجعلها كالموتى، وأعلنت وفاتها، والكل صدّقني كطبيبة، حتى أنني غسّلتها بيدي،

تصمت ثواني وهي تتذكر:

- ولقد فتحت عينيها وهي على المنضدة وأنا أغسّلها، ولكن لا شيء بيدي، لقد كانت التعليمات تعليماتها دائمًا، كفُّها الذي كانت صفعته ردًّا على كل شكوى ونقاش بيننا، كفُّها الذي كنت دائمًا ما أشتكيه لأبي طمعا في ظهر لم أجده.

تنهار قبل أن يقترب منها مينا ويهدّئها:

- كانت يا دكتورة نيفين وانتهت، الان كل شيء انتهى.

تهدأ نيفين بعد بضع دقائق وهي تشعر أن شيئًا غريبًا في وجه

مينا، الذي يستطرد:

- أعتقد أن تجربة هذه الحقنة جعلتك إنسانًا آخر، الإنسان الذي كان قبل كل هذه الكوابيس، على الأقل عثرتِ على الحقيقة، حقيقة كل ألغاز حياتك، إنها النهاية المثالية للجميع، هذا المصل هو بطل قصتنا، أنا أخذت الكوابيس التي أريدها، وأنت عثرتِ على نفسك أخيرًا.

قبل أن يقف ويسير ناحية الباب ويقف عنده ويستعيد وجهه المتجهّم الغاضب قال:

- ولكن للأسف، لكل شيء ثمن، ولا أعرف ما أقوله لك سوى أن أؤكد لك أنني لم أخطّط لهذا أو أوافق عليه، ولكنني مغصوب عليه مثلك ومضطر أن أتركك تدفعين الثمن وحدك.

لم تفهم ما يقصده وهو يخرج من الغرفة، ولكنها فهمت بعدها بثوانٍ وهي ترى شوقي البطاح يدخل الغرفة بعده بابتسامة شقّت وجهه إلى نصفين بالعرض، عرفت وقتها أن هي ثمن الدواء، ومينا ينظر إليها نظرة أخيرة عبر الباب وهو يغلقه مضطرًا قبولا لتهديدات شوقي بالمقابل أو فضح الأمر كله، وأنها الآن على وشك العودة إلى كابوس جديد.

تحاول الوقوف للمواجهة إلا أن جسدها كان يقاومها بقوة، شعرت بصعوبة الموقف وهي تقع أرضًا في ألم وتزحف إلى ركن في الغرفة قبل أن يرفعها شوقي ويلقيها على الفراش مرة أخرى وهو يتحدث بنفس الابتسامة:

- أخيرًا، بعد انتظار كبير، والعشرات من الشحاذين والشحاذات، والمعاتيه والمجانين، أخيرًا أحصل على جثة من الدرجة الأولى سياحي.

تشعر بالرعب وهي تنظر إليه وهو يمسك هاتفه ويصوِّرها وهو يضحك في نوع من أنواع المرض بالسعادة وهو يشاهد الرعب ومحاولاتها في استجماع قواها وهو يقول:

- لا مكان للهرب، ولت تخرج همسة إذا صرختِ خارج هذه الغرفة المثالية لتلك الليلة.

يثبت هاتفه على الحائط ليصوِّر الأحداث، ثم يقترب من الفراش بخطوات هادئة، تقرر الآن هي الاستسلام وترفع الراية البيضاء وهي كانت تتمنى أن تأخذ العقار مرة أخرى قبل هذا المشهد، تغلق عينيها ثم تشعر بسائل ساخن يضرب وجهها، فتفتح عينيها.. إنها دماء تغرق فيها هي، وشوقي يقف أمامها ورقبتها مشقوقة شقًّا يقذف دماء على كل مكان في الغرفة ويسقط لترى سكينًا تُنتزع من عنقه، فتلتقط أنفاسًا عالية في توتر تجعلها على وشك فقدان الوعي قبل أن ترى السكين التي قتلت شوقي تتوجه الآن لقتلها، وعيناها تجحظان من المفاجأة.

***

عاش جوزيف عامًا بعد حادثة الذئب، تعلّم منها ما قد يفيده طيلة حياته، أو هكذا اعتقد.

أسوأ شيء في الحياة ليست الحادثة، ولكن الأسوأ من ذلك أن

تتعلم الدرس الخاطئ منها، وجوزيف اعتقد أن ما أكله الذئب داخله هو التعاطف والإنسانية لمجرد أن هذه هي المشاعر التي حرّكته لإنقاذ الذئب الشريد، ودوّن هذا على جسده حتى لا ينسى ويسترجع تلك المشاعر مرة أخرى ناحية أي شخص، ونسي في حماقة الحقيقة القاهرة أنه مهما فعل سوف يظل إنسانًا مهما حاول أن يتحوّل لوحش.

وبالرغم من الدرس، إلا أن الإنسان داخله عاش في معاناة، معاناة أنه أصبح إنسانًا غير طبيعي ومنقوص الأعضاء، لم يغد جوزيف بعدما أكله الذئب، بل صار شيئًا آخر ناقصًا، وكل يوم ينتقص منه شيء آخر عندما يرى الإنسانية التي أكلها الذئب منه في عيون الآخرين وهم يساعدونه ويعطفون عليه كونه إنسانًا بذراع واحد.

مع الوقت يظلم ما تركه الذئب من جوزيف في عيونه، وتظل اليد المفقودة كتلة نار في عيون جوزيف، أو ما قد نختصر ونقول، انه كابوس جوزيف

يقرر جوزيف أن نهاية هذا الكابوس هو أن ينتقم، وأنه قد يستعيد ذراعه إذا قتل الذئب، بعد عام بالضبط وفي ذكرى ذراعه الراحل، يُخرج جوزيف فأسه ويقرّر العودة إلى نفس المكان وأن ينهي مكانًا يجب أن ينهيه منذ عام، والذي إن كان قد تركه في البداية لمَا كانت تلك النهاية. يذهب جوزيف وبالطبع يجد الذئب، ولكنه ليس وحده.

في النهاية يدرك جوزيف الحقيقة، إن ما أكله الذئب منذ عام هو ما كُتب للذئب كعشاء تلك الليلة، لا علاقة له بدروس أو إنسانية، بل إن هذا هو المصير المحتوم والمكتوب وإنه كان يجب أن يستكمل

حياته دون النظر للخلف وإن قرار عودته تلك الليلة للانتقام كان المكتوب لكي يُكمل الذئب وجبته، أدرك هذا ورقبته بين فكّي الذئب، لم يكن هناك درس مما أكله الذئب في السابق سوى الابتعاد عنه، ولن تكون هناك دروس أخرى.

***

- ما الذي يبدّل الحب يا أحمد؟

تقولها نيفين وهي في حضن أحمد بعد عدة أيام من شهر العسل في فراشهما سويًا، تقولها وهي تحاول طمأنة نفسها بأن ما فيه الآن واقعي وسيستمر، وأن الحلم هذه المرة لن يتحول إلى كابوس.

- أعتقد الأنانية والغيرة.

يرد أحمد في هدوء وسكينة، يشعر بسعادة بالغة من أنه أخيرًا وجد شخصًا هادئًا يسكن فيه وبه، شخص خاض آلاف المعارك ويبحث هو الآخر عن السكينة، فوجدوا بعضهم في النهاية.

- ومن أين تأتي الأنانية والغيرة؟

يأخذ نفسًا عميقًا ويحتضنها بشدة هو يرد متمنيًا:

- لن يأتوا يا نيفين أبدًا.

***

- أين المال؟

يسأل محسن موظف المستشفى أحمد بشارة في لقائهم معًا في نقطة حدّدها محسن لأحمد بجانب المستشفى من الناحية الشرقية

للسور الساعة العاشرة مساءً، مظلمة ومهجورة ولا يوجد أي شخص بها بالرغم من أنها قريبة من مساكن شعبية تستطيع رؤيتها، يجلس بجانب أحمد في سيارته والذي يرد:

- وما الضمان أنك ستجعلني أصل إلى ما أريد، إلى غرفتها وأقابلها؟

- كنت أعرف أنك ستسأل ذلك؟

يضع يده في جيبه ويُخرج ورقتين بهما مستند مصور من كاميرا هاتف ومطبوعة، الورقة الأولى هي رسم كروكي للغرف بعنبر السيدات، والورقة الثانية بيان رسمي على ورق المستشفى به أسماء النزلاء ويلمح اسم نيفين، وينظر للرسم ليتعرف على موقع غرفتها.

فيرد أحمد عليه:

- إذا افترضت أن تلك الأوراق سليمة، يبقى أن أعرف مكان العنبر نفسه.

- أنا سأدخل معك إلى العنبر، لا تقلق.

- الآن.

- نعم، الآن، وهنا.

ينزل كلاهما من السيارة ويفتح أحمد باب السيارة الخلفي ويُخرج حقيبة ظهر كبيرة خاصة بالرحلات، ويفتحها لمحسن ليريه النقود:

- كما طلبتها من البنك ساخنة.

يبتسم محسن ابتسامة خارجة عن إرادته قبل أن يرتدي أحمد

الحقيبة ويستطرد:

- ولكن ستحصل عليها أمام العنبر بالضبط.

- اتفقنا.

يقولها أحمد فيتحرك محسن إلى جانب السور تاركًا إياه ويأتي بشوال كبير مثل الذي يستخدمه جامعو القمامة في الشوارع، ويُخرج منه رداء جامع قمامة القطعة الواحدة "أوفارول" وقبّعة ونظارة زجاجية رخيصة وملحومة من جانب بلاصق أبيض اللون إلى جانب مقشة كنس شوارع.

- ارتدِ هذه الملابس وضع حقيبة المال في الشوال وتحرّك معي.

يتحرك مع أحمد إلى جانب السور، يرتدي المطلوب فوق ملابسه ويضع الشوال على ظهره والمقشة بيده ويسير معه.

- افعل كما أقول لك بالضبط، إذا تمّ الإمساك بك أنا سأخسر نقودي وأنت ستلقى في السجن، الموضوع في قمة الحساسية.

يهز أحمد رأسه مؤكِدًا التزامه بالتعليمات، أحمد الذي برغم تشكُّكِه من كل هذا الجنون الذي يسير فيه إلا أنه ليس لديه طريق آخر ليسلكه، إنن قلبه يدق بقوة من الإثارة، ولا يستطيع انتظار لحظة نهاية كل أحزانه، كل ما لديه في الدنيا معلّق برقبة نيفين ويجب أن يقطع هذا العنق حتى يحرّر حياته، اختلطت كل المشاعر داخله، إلا أن الانضباط من أجل الوصول إلى الهدف بثّ الهدوء داخله والتركيز التام والإنصات لكلام محسن الذي من الواضح أنه يعرف ماذا يفعل. يسيران بطول السور إلى أن يظهر باب جانبي للمستشفى، يبدو أنه

مهمَل ومُلحق به كُشك للأمن في منطقة معزولة، ولكن يمر من أمامها شارع. وقف محسن على بُعد أمتار من البوابة ويلتفت إلى أحمد:

- سأدخل أنا أولًا وأتحدث مع غرفة الأمن، عندما أرسل لك رسالة على الهاتف تتسلل دون أن يراك أحد وتسير حذو السور إلى أن تجد نخلتين، انتظرني عندهما، إذا أمسك بك أحد أنا لا أعرفك.

لم يرد أحمد رغم أنه في قمة تركيزه، يسير خلف محسن الذي يشير إليه ليقف بالقرب من البوابة، يدخل محسن من الباب الخلفي ويحيي رجال الأمن في البوابة ويسمع أحمد صوت حديث صاخب وضاحك، فيُخرج الهاتف من ملابسه تحت ملابس جامع القمامة الخضراء قذرة الرائحة التي يرتديها، عدة دقائق يقف فيها وهو يشعر بالخوف، ماذا يفعل عامل نظافة في مثل هذا الوقت في المستشفى أو في أي مكان؟ يجد رسالة من محسن فيدخل من الباب وهو ينظر حوله والمستشفى تبدو مهجورة، يدق قلبه خوفًا وهو يعبر الباب ويسمع حديثًا ضاحكًا بين محسن ورجال الأمن ورائحة خفيفة لمخدّر حشيش تعبّق الهواء. وكما قال له بدأ يسير بجانب السور وهو يحاول إخفاء نفسه وينظر حوله في ترقُّب إلى أن يصل إلى النخلتين، انتظر خمسة عشر دقيقة حتى وصل محسن الذي يشير له ليتبعه ويسير خلفه لمدة 10 دقائق في حدائق المستشفى التي حتى في الليل تبدو ذابلة وكئيبة، يسير محسن حتى يصل إلى بُعد عشرين مترًا من مبنى من دور واحد أرضي، يقف ويشير إلى أحمد حتى يقف، ويهمس إلى أحمد:

- هذا هو المبنى، مبنى اقتصادي سيدات، به غرفة العزْل التي بها

الهدف، أخرج الورقة التي أعطيتها لك.

يُخرجها أحمد ويسير معه عدة خطوات بالقرب من عمود إنارة ويشير إليه وهو يتحدث:

- الباب من الأمام ستجده مفتوحًا، باب العنبر أيضًا ستجده مفتوحًا، وإن وجدته مغلقًا بقفل كبير انتظر المرور بعد نصف ساعة من الآن ولتجِد طريقك أو اكسره، في الغالب لن تجد أحدًا هناك إلا ممرضة إن وجدتها. والآن، أعطني الملابس كلها والنقود، لقد فعلت المطلوب كما اتفقنا.

ينظر أحمد إلى المبنى ثم إلى محسن في شك:

- لا أعرف إذا كان ما تقوله سليمًا أم لا.

- وأنا لم أعُد النقود أيضًا. كلانا ترك نصيبه في المخاطرة، لكن بأي حال انظر إلى رسم المبنى ستجده مطابقًا له، وستجد مكتوبًا على المدخل عنبر السيدات، وهذه مستشفى حلوان النفسي، لا يوجد إثبات أكثر من ذلك.

لا رجوع الآن، وكلامه منطقي بشكل كافٍ لأحمد الذي خلع الملابس التي لم يكن يحتمل رائحتها وهو يتحدث إلى محسن.

- وأين الأبواب الحديدية والكهربائية وكاميرات المراقبة التي كنت حدّثتني أني سأمُرّ منها؟

يرى أحمد انعكاس ابتسامته من الضوء الخافت على وجه محسن وهو يرد:

- أستاذ أحمد، هذه مستشفى أمراض نفسية حكومية قديمة مبنية منذ 1980، أغلب نزلائها من الفقراء والمُعدمين وأغلب العاملين بها كذلك، وغرض هذه المستشفى هي ألا يهرب من في الداخل الذي في الأساس لا يريد الهروب، ولا يوجد أحد في الكوكب يعتقد أن هناك من سيقتحم المستشفى لينتقم من مريض نفسي حتى لو محجوز على ذمة قضية، الصعوبة ليست كبيرة في الهروب، والاقتحام كما رأيت أنت الآن، لكن كما قُلت مسبقًا أنت رجل أعمى وأحمق تقودك غريزة حمقاء مثلك.

ثم يأخذ الشوال من أحمد ويضع فيه كل الأغراض ويحمله على ظهره وأحمد ينظر إليه دون ردة فعل.

- ولكن الشهوة هي ما تجعل البشر يدفعون المال، لهذا أنا سعيد بما جنيته من حماقتك

يسير بخطوات سريعة مبتعدًا عائدًا إلى نفس الاتجاه الذي جاءا سويًا منه، أحمد يشعر أن عليه أن يتحرك سريعًا، يرتدي ملابس داكنة كلها ومعه قناع أسود يرتديه، يتحسّس السكين وأيضًا المسدس اللذين ابتاعهما لهذا الغرض، لقد صرف أغلب ما يملك على تلك المهمة، ثم يتقدّم ناحية المبنى الذي برغم أنه مضاء إلى أنه لا أحد الآن فيه على عكس مبنى الإدارة الذي ما إن ضرب بعينه ناحيته حتى وجد خيالات لبشر هناك. نظر أعلى الباب، لا نوجد كاميرا أو أي شيء يدعو للقلق، أخرج السكين وهو يتمنى ألا يقابل أي شخص بريء، ولكنه لا يمانع قتل أي شخص سيقف في طريقه.

يدخل المبنى، هدوء تام يضرب العنبر الذي يبدو من الداخل قديمًا

جدًا برخام رمادي والكثير من الحديد والأسلاك في كل النوافذ والأبواب، وكما يبدو في الرسم تبدو الحقيقة التي يطابقها أحمد بعين مهندس، في البداية العنابر الجماعية المجانية، ثم العنابر الجماعية الاقتصادية، ثم العنابر الخاصة والعزل، ومن حُسن الحظ أن حتى الباب الحديدي الفاصل بين العنابر مفتوح، كان يسمع همهمات وهمسات النزلاء من خلف الغُرف في شيء من التوتر.

كان أحمد يرتدي حذاءً رياضيًا بكعب من مادة الفوم يُصدر صوتًا منخفضًا عند احتكاكه مع الأرض، ولكن ليس مع جرانيت 1980 كان الصوت عند الركض كصرير كاوتش السيارات، لهذا كان يسير بسرعة، ولكنه لا يستطيع الركض، يصل إلى المدخل الحديدي لغرف العزل الذي من المفروض أن يكون مغلقًا، ولكنه وجده مفتوحًا على مصراعيه.

يدخل أحمد بهدوء شديد وخطوات محسوبة عندما يسمع صوت جلبة ما، يعيد النظر بهدوء إلى الخريطة فيتعرف على مكان الغرفة، عندما يصل إليها يجد هناك شخصًا ما يقف أمام الغرفة ويشاهد من الفتحة الزجاجية الصغيرة في الباب ما يحدث في الغرفة المنشودة، يبدو واقفًا منذ فترة وسوف يظل هناك، كان يرتدي رداء طبيب، قرر أحمد أن يتحرك ويضربه على رأسه بكعب المسدس ليفقد الوعي، ولكنه لم يكن محظوظا؛ فهذا الشخص استدار دون تخطيط ليجد أحمد أمامه بملابسه وقناعه،

- من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟

شعر الطبيب بالهلع فقرر الهرب، وهنا لم يستطع أحمد إطلاق النار

عليه منعًا للجلبة، فركض خلفه، وبعد خمس خطوات أمسكه، ولكن هذا الشخص ضئيل الحجم حاول الهرب بكل الطرق، ولمّا حاول الصراخ خرجت منه شِبه صرخة مكتومة عندها بدأ أحمد في خنقه بذراعه فوقع أرضًا معه وهو يحاول أن يتملّص من ذراعه، ولكنه لم يستطع، وفي ثوانٍ انقطعت المقاومة والنفس... ومات الدكتور مينا.

وقف أحمد في ذهول لثوانٍ، ولكنه التقط نفسَه في ثوانٍ وقرر أنه لن يقف عند هذه النقطة، سحبه من قدمه وألقاه جانبًا ثم تحرك ناحية الغرفة المستهدفة والذي كانت منها كل الجلبة، نظر كما كان ينظر مينا منذ قليل ليجد آخر ما كان يتوقعه..

إنها نيفين فعلًا، ولكنها تُغتصب.

كان في رأسه عشرات السيناريوهات لهذا اللقاء من حيث شكله والتحضير له، وعدة سيناريوهات للنهاية، خنقًا أو قطعَ رقبة بالسكين أو إطلاقَ نار، ولكن كل تلك السيناريوهات تداخلت، هناك مشاعر غريبة داخله ظهرت ومهما كانت النهاية التي تستحقها نيفين، لكن ليست هذه النهاية، كان المفروض أن تشتعل نيران الغِل لينهي كل الألم داخله وهو يراها تعاني وتموت، ولكن ما اشتعلت هذه المرة هي نيران الغضب من أن أحدهم يقوم باغتصابها، جسدها العاري هذا كان له المتعة بالحلال والرضا، الآن مستباح لشخص ما يستغل مرضها وضعفها وسجنها هنا، لم يعرف بماذا يشعر أحمد الآن؟

إلى أين نذهب من هنا؟

يدخل الغرفة ويُخرج السكين في غضب ويسكنه في رقبة المعتدي بكل قوة ويُخرجه ليقع على نيفين العارية في السرير

ووجهها وصدرها غارقان في دم شوقي البطاح الذي كان في طريقه ليلحق بالدكتور مينا بعد ثوان، ثم رفع السكين عاليًا وهو ينظر إلى نيفين ويخلع القناع الأسود، فتجحظ عيناها في دهشة وهي تتحدث في ضعف:

- هل قطعت كل هذه المسافة وسفكت كل هذا الدم لكي تنتقم؟!

ينظر لها أحمد الذي غيّر هذا المشهد ما في رأسه، جعله يفقد اتزانه، فلا يعرف ما إذا كان ما سيفعله صحيحًا أم خاطئًا، الانتقام ليس كذلك، لا معنى من الانتقام من شخص أصلًا ما يحدث فيه هو انتقام، ينظر إليها بحسرة ولا يتحدث بينما هي تستطرد:

- افعلها، لكن اعلم أن الانتقام لن يعيد لك طفلك، ولكن سيعطنني الفرصة لأسبقك إلى الجحيم لألحق بتلك العاهرة نادية وأشاهدها تحترق وأنتظرك هناك.

تعيد جملتها النار إلى رأسه، فيعود إلى وضعه الأساسي الذي كان عليه قبل أن يشاهد كل هذا العبث:

- ستذهبين وحدك.

ويبصق عليها وهي تتجاهل البصقة وتنظر له بآخر ما تحمل من طاقة باستهزاء وكراهية، يرفع السكين ويهم بالقضاء عليها قبل أن يقطع الغرفة صوت إطلاق النار خلفه، لتجد نيفين نفسها غارقة بدماء جديدة، دماء أحمد هذه المرة.

كان يتمني أحمد أن ينزل بالسكين على نيفين لكن طلقتين اخترقتا عنقه من الخلف فلم يستطع تمالك أي شيء وسقطت

السكين على الأرض قبل أن يسقط هو بجسده على الأرض بظهره بجانب الفراش، ويظهر خلفه رجل أمن بالمستشفى كان الدكتور مينا قد اتصل به منذ دقائق للمرور على نيفين في محاولة لإنقاذها من شوقي دون تدخُّله.

ترفع نيفين جسدها وتتحرك بنصفها الأعلى وتخرج عن إطار الفراش بإعياء شديد فوق رأس أحمد، تميل بجسدها حتى تصل إلى رأسه وهو يغادر الحياة، وتقبِّل رأسه في حزن وهي تقول:

- لم أكن أريد كل هذا يا أحمد، لم أكن أحلم معك بتلك النهاية أبدًا.

يلفظ هو النفس الأخير في حضنها، بينما تدمع عينا نيفين وهي تعرف أن الموتى لا يتعلّمون الدرس.

***

تجلس نيفين في غرفتها القديمة بالمستشفى بعد ما حدث بأسبوع، تم فتح تحقيقات عن كل شيء، مينا وشوقي، المخدِّر الذي عثر عليه معهما، وتسلُّل أحمد للمستشفى، وكل الدم الذي سال، إعصار عصف بالمستشفى سوف يغير كل شيء بها للأبد، نيفين الآن تعيش في حزن شديد، بعد العقار اكتشفت أشياء كثيرة خلال رحلتها مع نفسها، الحقيقة التي رأتها وكانت تعيش دون القدرة على مواجهتها، الآن تستطيع رؤيتها واضحة.

كل شيء وأي شيء.

طرقتان على باب غرفتها، تدخل ممرضة وتسمح لـ "كمال أبو الفضل" المحامي بالدخول:

- صباح الخير يا دكتورة نيفين.

- صباح النور.

- هل أنت أفضل الآن؟

- أعتقد.

- وستكونين أفضل بعد زيارتي لك كثيرًا.

يصمت ثواني ويُخرج ورقة ويناولها لها:

- نص بحكم براءتك لعدم كفاية الأدلة، ألف مبروك.

تمسك الورقة وتنظر إلى كمال:

- هل يعني أنني حرّة الآن؟

- لقد طالبت بلجنة جديدة للكشف عن حالتك العقلية، في ظل الظروف التي حدثت واكتشاف أنك كنت تحت تأثير عقار وأن المشرف على التقرير الدكتور مينا، أعتقد أن هذا الكابوس سينتهي قريبًا.

لم تعرف طريقًا للابتسام مرة أخرى، حتى ابتسامتها التمثيلية المريضة لم تعد تعرف طريقها.

- أعرف أنك مررت بظروف صعبة طوال الفترة السابقة، ولكن للأمانة أنا لم أكن أرى أي نوع من البراءة، القاضي الذي حكم بالبراءة هو أصعب قاضٍ في تاريخ البشرية، لم أفُز أمامه مطلقًا، ولكنه لم يقتنع بالقضية في الأساس، لهذا لم يقُم حتى بتأجيلها حتى تقرير حالتك العقلية، أنا لم أصدّق نفسي عندما نطق الحكم. عليك أن تبدأ

بالاحتفال لأنني بصراحة احتفلت مقدّمًا.

- كيف؟

- ماذا؟

- كيف احتفلت ببراءتي؟

مفاجأة السؤال جعلته يرد بكل سذاجة:

- لي صديق في المكتب، ذهبنا إلى كبابجي سويًا.

بوادر ابتسامة ظهرت على وجهها وهي ترد:

- شيء لطيف.

يشعر بالحرج مما قاله، بينما هي تنظر إلى ورقة البراءة بصمت وهي تفكر في كل شيء، كل الكوابيس وكل ما دار بها وكل الشخصيات التي واجهتها، خالها فؤاد، ميريهان، أمها، وأخيرًا أحمد وأسرته. يقطع شرودها كمال وهو يسألها:

- والآن يا دكتورة، بعد أن تخرجي، كيف تفكرين في الاحتفال؟

تنظر له وفي وجهها شرود حائر لعوانٍ قبل أن تبدأ بوادر شعور ما قديم يهيم في ذهنها:

- سوف أسافر.

يبتسم لأنها ردت بطبيعية وهو يتساءل:

- إلى أين؟

تستكمل الشرود وهي ترد:

- إلى الجونة.

قبل أن تستيقظ من غفوتها تلك وهي تنظر له بحماس وتسأل:

- هل لديك رقم والدي على هاتفك المحمول؟

يُخرج الهاتف المحمول من جيبه ويُخرج رقمه ويعطيها له فتنظر إلى رقمه ثم إلى كمال:

- هل يمكنك انتظاري في الخارج خمس دقائق.

***

- خالص عزائنا يا جون، نتمنى لروحه الرحمة.

- العفو مستر آدم، إنه حدث قاتل لي.

يقولها جون وهو يمسح دموعه أمام شاشة الحاسب وهو يتحدث:

- كما وعدنا، سوف يتم تحويل المبلغ المتفق عليه لحسابك الخاص بك وبالدكتور رحمة الله عليه.

- شكرًا لك جدًا.

ثم يصمت ثواني في اهتمام ويستطرد:

- وبالنسبة للمكافأة التي وعد بها السيد مصعب؟

يسمع صوت نفس آدم في المحمول بوضوح قبل أن يرد:

- للأسف لا توجد مكافأة.

- لماذا؟

- في الغالب سيتم إعادة استخدام البرنامج مرة أخرى بصورة مغايرة، وسيتم إلغاء كل الكوابيس الموجودة حاليا من على النظام.

يعود جون بالمقعد للوراء في دهشة بينما يسمع آدم يستكمل:

- من الواضح أن التجربة أثّرت بالسلب في كل من تعرّض لها، كان الغرض من التجربة المرح، لكن فيما يبدو أن البشر غير جاهزين لمثل هذا النوع من الألعاب، كل من شاهدها لا يعود مثلما كان، وفيما يبدو أن الامر طال السيد مصعب ذات نفسه. أنا آسف يا جون، رسميًا تم إلغاء كل شيء وإعادة استخدامه مرة أخرى.

ينظر جون في خواء إلى الشاشة:

- أتفهّم يا آدم، أتفهّم هذا.

- شكرًا على كل شيء جون، سنتحدث عن المشروع الجديد قريبًا، إلى اللقاء.

حزن مضاعف يضرب قلب جون الذي يشعر بالخواء بعد رحيل أخيه، والآن حتى المشروع الذي قضى نحبه يبنيه سيُغلق، ولكن جون عملي، نصيب أخيه بالكامل سيُحوّل له، وسيستطيع الاستفادة من باقي الشقة، وهناك الكثير من المزايا ستجعل موضوع أخيه هيّنًا عليه.

يجلس في هدوء المرتخي كعادته على كرسيه ويفتح هاتفه وتطبيق الفيسبوك ويبدأ في تصفح سريع للمنشورات واحدًا تلو الآخر حتى يصادفه خبر انتحار ناشر محتوى شهير خاص بالألعاب يدعى أسامة، ينظر إليه ثواني وقبل أن يبدأ في الشعور بالحزن

يستكمل التصفُّح متجاهلًا الخبر لينسى كل شيء بعد دقائق بالغوص داخل التطبيق في منشورات الآخرين، وكأن شيئًا لم يكن.

***

يجلس القاضي عزت الدويني في المقهى الذي يرتاده دائمًا منتظرًا صديقه على نفس الكرسي المخصّص له في المقهى، ممسكًا الشيشة الخاصة بها ويدخن في هدوء، قبل أن ترتسم ابتسامة بسيطة على وجهه وهو يري شخصًا لم يتوقع أن يراه هنا يدخل المقهى ويسير تجاهه:

- مساء الخير سيادة المستشار.

يرد وهو يحمل نفس الابتسامة:

- ألف مبروك يا كمال بيه، تفضّل.. اجلس، أنت رجل منتصر.

يبتسم كمال أبو الفضل ابتسامة واسعة على سخرية عزت الدويني ويجلس في المقعد المقابل وهو يرد:

- أنا لم أنتصر على أحد، القضية حلّت نفسها.

- لا تقلّل من مجهودك، مجهوداتك في إبطال دليل الإدانة الوحيد "الكاميرا" كان عاملًا فاصلًا فيها.

ثم يشد نفسًا من الشيشة ويستطرد:

- ولكني لا أنكر أن وكيل النيابة كان قليل الحيلة ولم يقنعني، وهذا السبب الأساسي في سرعة الحكم.

- للأمانة سيادة المستشار كانت قضية غريبة جدًا من أولها إلى

نهايتها بكل تفاصيلها.

قبل أن ينظر للقاضي الدويني مبتسمًا ابتسامة ذات مغزى وهو يستطرد:

- ولكن لا أنكر على سيادتك، حتى القضية الوحيدة التي انتصرت فيها أمام منصتك كانت ملعونة.

يرد عزت بدهشة:

- لماذا يا كمال بيه؟

- لأني من الواضح أنني لن آخذ اتعاب تلك القضية ومصاريفها.

- لماذا أيضًا؟

يأخذ كمال نفسًا طويلًا وهو يرد:

- الدكتور أكرم جودة موكلي بعد أن تركت ابنته بالخبر السعيد، عرفت أنه أصيب بأزمة قلبية حادة وهو في غيبوبة الان بالمستشفى الذي يملكه.

يرتفع حاجبا عزت:

- لا إله الا الله، ماذا حدث له، هل هو تأثير مرتبط بالقضية؟

- لا أحد يعرف، لا أحد يعرف.

يصمت كلاهما ثواني قبل أن يقطع كمال الصمت:

- شخصية محيرة التفاصيل جدًا، غموض لم أره في حياتي.

- كيف؟

- لا يتحدث كثيرًا وصامت للغاية، مكتبه كبير، ومن الواضح أنه كان معزول الصوت، لا تسمع شيئًا في الغرفة وأنت جالس معه سوى صوت خشخشة من صدره مع كل نفَس يأخذه بصورة مرعبة، كان يرتدي خاتم ذهب كبير مرسوم عليه أفعى غريب الشكل وكأنه ينتمي إلى طائفة ما، وعلاقتة بأبنته أغرب، كان يمكنه أن يأتي بأكبر محاميّ البلد ولكنه اختارني بناء على ترشيح أحدهم له، ولم يكن يهتم بأخبار ها، ولم يسألني أبدًا عنها أو عن القضية، وكنت عندما أذهب إليه كان يقابلني مضطرًا، حتى ابنته، عندما كانت تريد أن ترسل له رسالة كتبتها ورقية، ولم يكن كلامًا حتى، بل رسمت له صورة كفٌ وأرسلته له معي. عائلة غريبة للغاية، حتى مع حظي الجيد في القضية معهم تنتهي هذه النهاية. حاولت التواصل مع نيفين ولكنها أغلقت هاتفها واتصلت بسكرتيرة والدها التي لم تعرف أيضًا الوصول إليها واختفت هي الأخرى.

يضحك كمال بينما يكتفي عزت بابتسامة واسعة:

- كل شيء يأتي في وقته يا كمال بيه، هو صاحب المستشفى وسيلقى العناية اللازمة ويعود إلى حالته ويدفع لك أتعابك وتكتمل سعادتك.

- نعم، كل شيء يأتي في وقته.

يصمت كلاهما قبل أن يقطع كمال الصمت مبتسمًا وهو يهم بالقيام:

- إلى قضية أخرى سيادة المستشار.

- إلى قضية أخرى كمال بيه، أنتظرك.

يقف كمال ويتحرك وهو يسمع صوت ابتسامة عزت في خياله، إلى لقاء آخر يجمعهما سويًا.

***

(إذا استطعنا أن نرى حياتنا كما هي، الحقيقة بكل شفافية دون أي مبررات، ونذكّرها لأنفسِنا دائمًا، وقتها لن نكرّر أخطاء الماضِي، ووقتها لن نكون جوزيف).

شكر خاص

إلى السيدة زينات جبرة، والدتي، والتي لها كل الفضل عليّ، ووالدي حسن سالم، وشقيقي رامي وعمر.

هنوة زوجتي على الدعم الكبير، وأبنائي عمر وكريم على كل هذه الفوضى الخلّاقة.

فاطمة الزهراء أبو هلال، وائل حليم، هبة رياض، دنيا درويش، دنيا جبرة، نيرة حسن، محمد مكرم، باكينام محمود، دينا شلبي، حسين إسماعيل، وليد عبد العليم، الدكتور أكرم ذكي، الزميل حلمي مطر، ومصطفى طه.

إلى الخيال العلمي هاني، فتحي، عمرو، هادي، معتز، حاتم، مهاب، سامي والسكرمي.

إلى أصدقائي عديمي التأثير أحمد الوصيف، محمد صادق ومحمد جاد.. شكرًا على لا شيء.

وفي النهاية، إلى أخي الكبير المُلهِم هيثم حسن، وأخي الصغير هشام حسن، ودار دارك للنشر والتوزيع.